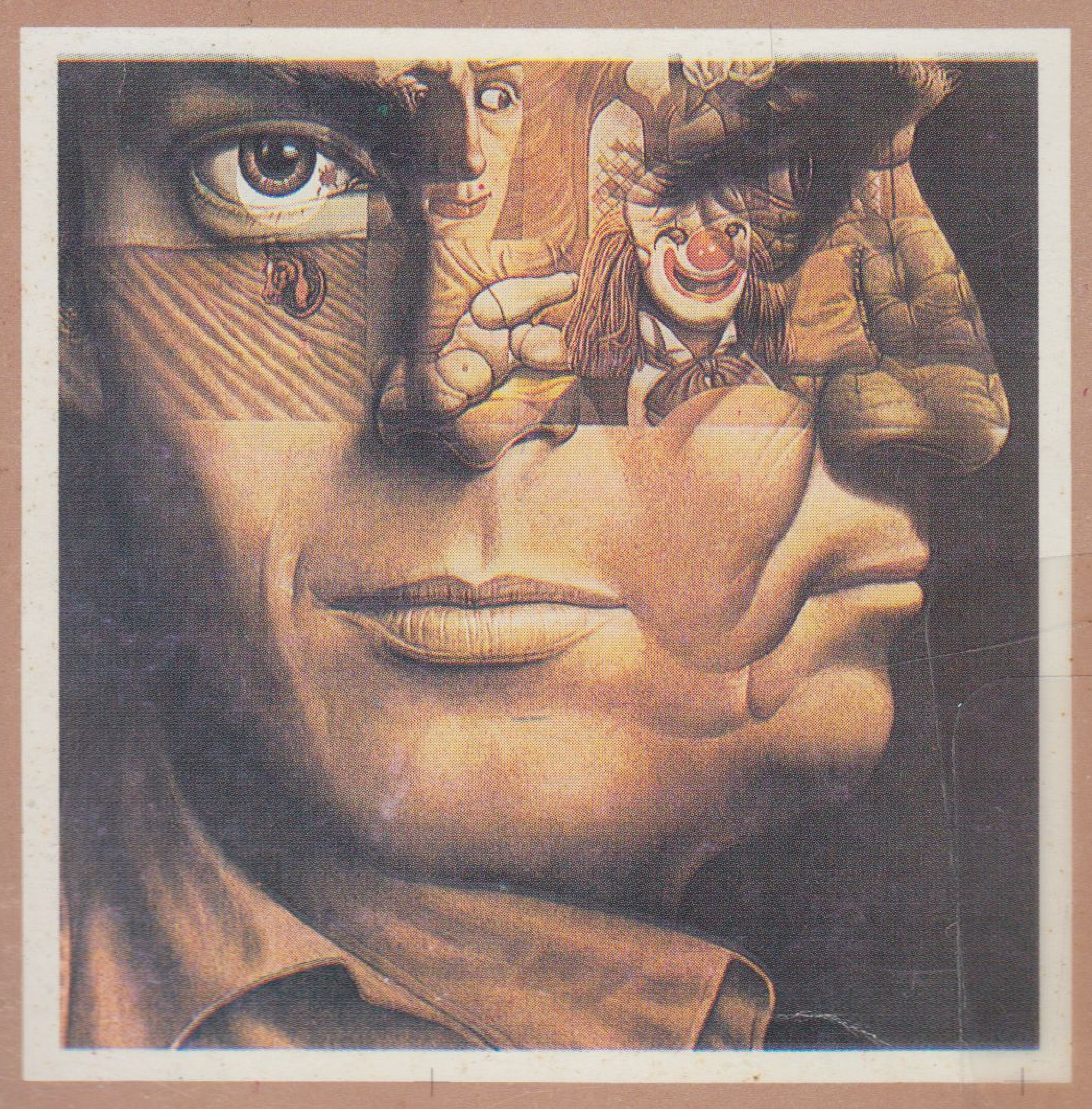
تراث الإنسانية

القضيــــة

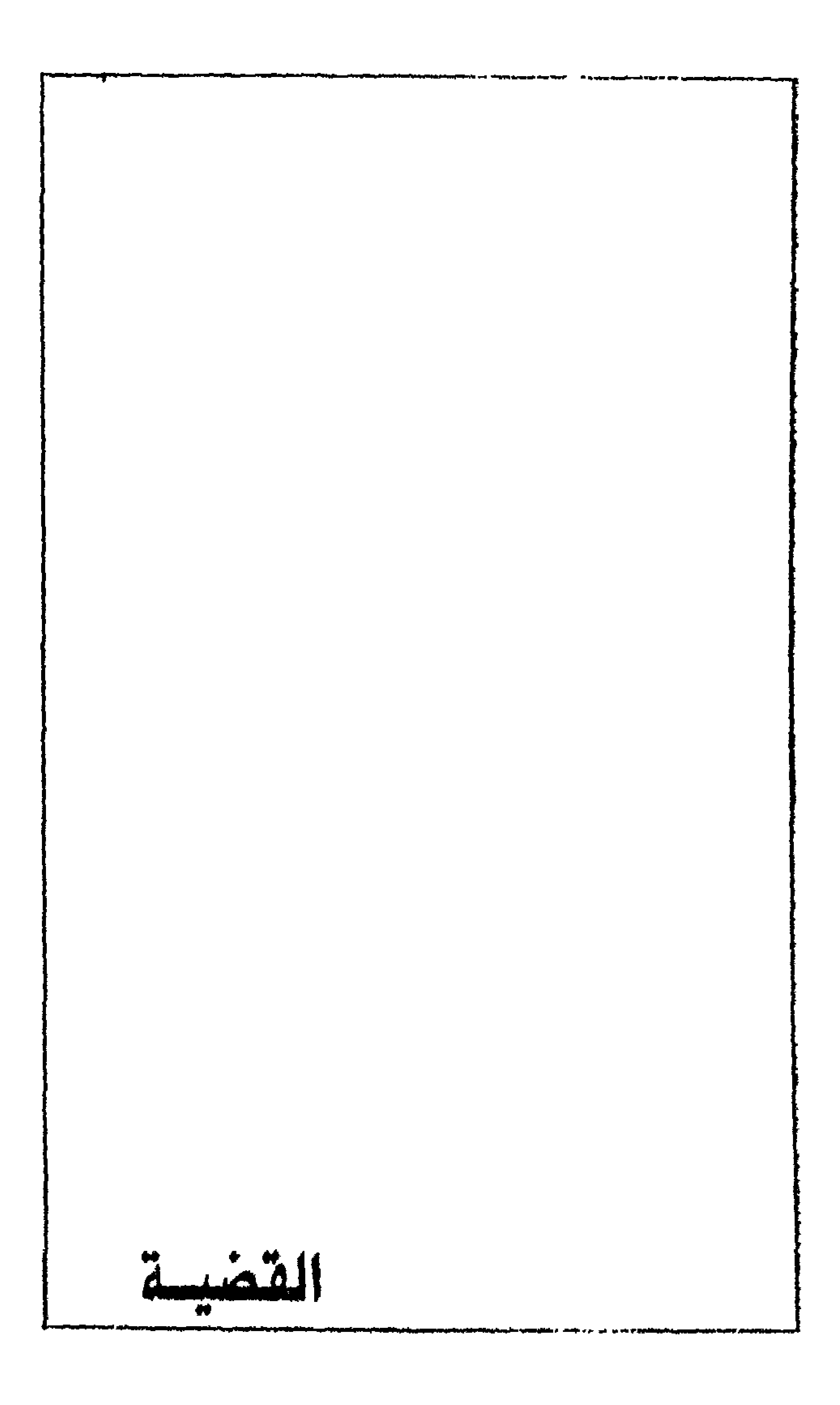
لكافكا

د. مصطفى ماهر



الهيئة المصرية العامة للكتاب

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥



القضية

القضيــة

لكافكا

د. مصطفى ماهر



مهرجان القراءة للجميع ٩٥
مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(تراث الإنسانية)

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

القضية
لكافكا
د . مصطفى ماهر

اولا : مقدمـــة :

ليست الكتـــابة عن فرانتس كافكا بالأمر الهين · ولهذا أســباب · فاعمـــال كافكا ظهــرت بعــد موته ، الا اقلهـــا ، وظهـــرت فى طبعـــات لا يرضى بهـــا العلماء المتخصصون رضاء تاما ، فقــد اعطيت بعضها اســـماء لو بعث فرانتس كافكا اليوم لاندهش لها غايــة الدهشة ، وقد رتبت ترتيبا ، لم يقصده المؤلف لأنه لم يكن قد فرغ منهـــا عنــدما انصرف عنهـــا ، وقــد عــدلت لغــويا واسلوبيا ــ تعديلا يقـــال انه طفيف ــ ولكننا لا نعرف كمياته ولا حدوده ، هــذا سبب اول · اما السبب الثانى فهو تجـــاذب النقاد اعمـــال كافكا الى ما شـــاءوا من اتجاهات ، فهذا الناقد يفسر كافكا واعماله تفسيرا دينيا، وناقد آخــر يذهب فى فهم اعمال كافكا مذهبا سيكولوجيا، وثالث يعتبـــره اماما فى الاصــــلاح الاجتماعى وفى

الاشتراكية وهكذا · واغلب الظن أن هؤلاء النقـاد وان لم يجانبهم الصواب كلية ، يصبون فى أعمـــال كافكا ذاتهم ، ثم يحللون ذلك العنصر الذاتي الذى صـــبوه ويخلصـــون الى احكام ، اصوب ما يمكن أن يقـــوله المنصف عنها أنها احكام ذاتية · والسبب الثالث أن نفرا من اليهود ذوى المبادىء الخطيرة وضعوا أيديهم عـلى أعمال كافكا ، وأرادوا لها صورة بعينها ـ اعتمـادا على أن فرانتس كافكا يهـودى ـ وكتبوا عن كافكا ما ارادوا، وعظموا فى أنفسهم تعظيما واكبروا آرائهم الشـــخصية فى غير تحـرج · وهكذا فاننا عندما نكتب عن كافكا ، لا نجـد أمامنا أعماله فى طبعات علمية موثوق بها تمـام الوثوق ، ولا نجد وضوحا فى تفسير مؤلفاته ، ولا نجـد تنزها عن العرض سياسيا كان أو دينيا أو مذهبيا فى اكثر ماكتب عنه ويكون واجبنا لهذا أن نجـره صـورة كافكا مما اضيف اليها وأن نحاول اظهارها على حقيقتها واصالتها ·

فرانتس كافكا انسن · وأعمال فرانتس كافكا عنصر من عناصر الثقافة الانسانية فى القـرن العشرين ، عنصر أساسى ، لا يمكن تصور هذه الثقـــافة بدونه · فرانتس كافكا انسان عاش حياة معتلة لأنه خرج الى الدنيا ضعيف الجســم ، مهزوز الصحة ، مضطرب الوجـدان ، ثـم اصـــدم بالدنيا التى لم تفهمـــه ولم تحنـــو عليه ـ فى

البيت ـ فى المدرسة ـ فى العمل ـ فظن أن الموت هو الغاية وعكف على نفسه يغوص فيها أو يستخرج ما تجمع فيها من خبرات ويصبها فى قالب متشائم كعصره كله ، فجاءت أعماله تتصف بالتناقض الشديد ، فهى منطقية ولا منطقية ، وهى مضحكة ومبكية ، وهى خيالية وواقعية فى وقت واحد ، ولكنها دائما صادقة خالصة ٠

ثانيا : حياته :

ولد فرانتس كافكا فى مدينة براغ فى الثالث من شهر يوليو عام ١٨٨٣ ٠ ونحن نعرف اليوم مدينة براغ عاصمة لجمهورية تشيكوسلوفاكيا ٠ ولكن هذه الجمهورية حديثا نسبيا (أعقاب الحرب العالمية الأولى) وأهم ما يلفت النظر فيها إن شعبها يتكون من عناصر مختلفة ، كان منها عنصر المانى فى منطقة بوهيميا والزوديتنلاند ٠ هذا العنصر الألمانى هو الذى يهمنا هنا ٠ ويهمنا أن نذكر عنه أنه كان نشيطا فى كل نواحى الحياة حيث كان ويشهد على ذلك مثلا أن أول جامعة المانية خرجت إلى الوجود هى جامعة براغ الألمانية فى عام ١٣٤٨ (أول جامعة تشيكية يرجع تاريخها الى ١٨٨٢) على أن الوجود الألمانى على هيئة أقلية أدى الى ظهور حزازات بين الألمان والعناصر

الأخرى ، وكان الألمان فى الفترة التى عاش فيها كافكا يحسبون كأنهم محصورون ولا يعرفون المصير الذى سينتهون اليه ، وقد حدث فى عام ١٩١٨ أن كون ألمان الزوديتنلاند حكومة خاصة بهم وانضموا الى النمسا ، ولكن التشيك ما لبثوا أن احتلوا المنطقة وسادت بين الجانبين حالة توتر شديدة • والشواهد التى بين أيدينا تدل على أن الطبقة الألمانية ـ اذا صح هذا التعبير ـ فى مدينة براغ كانت حول عام ١٩٠٠ تقدر بـ ٣٤ ألف نسمة وكان سكان المدينة كلها عددهم ٤٥٠ ألف نسمة ، وأن تلك الطبقة الألمانية كانت هى الطبقة الرفيعة ، أو كانت على الأقل تتمتع بسمعة تصورها على هذا النحو •

وقد ذكر فرانتس كافكا في يومياته وفى خطابه الشهير الى أبيه معلومات كثيرة عن أبيه وأمه وأقاربه• ومن هذا نعرف أن أمه كانت من عائلة أرفع قدرا من عائلة أبيه ، وان كانت عائلة الأم قد ضمت أفرادا غير أسوياء ليسوا بالقليل • يحكى كافكا مثلا عن جد أمه أنه « كان كل يوم يستحم فى النهر وانه كان فى الشتاء عندما تتجمد مياه النهر يصطنع لنفسه بالفأس فى الجليد حفرة ليستحم فيها » • ويحكى عن الجدة انها ماتت منتحرة ، بأن ألقت بنفسها فى النهر ويقول : « وقد اعترى

الجدة حزن شديد ، فرفضت الطعام ، وصامت عن الكلام ·· وذهبت ذات يوم للنزهة ثم لم تعد ، واخرجوا جثتها من نهر الألبة » · ويروى كافكا أن امه حكت له عن خال لها اسمه ناتان ، كان مجنونا ·

اما بقية عائلة الأم فكنت غنية ، وكان يغلب عليها الاشتغال بالتجارة والصناعة ، كان لأم كافكا أخوة ، أخواله اذن ، اتجهوا فى حياتهم اتجاهات عجيبة · احدهم

واسمه الفريد كان مدير السكك الحديدية فى مدريد ، وآخر اسمه يوزف كان يمتلك ويدير شركة تجارية مركزها باريس كانت تتجر فى بضائع الكونغو وثالث هو ريشارد كان يحترف التجارة ، ورابع هو زيجفريد كان واسع العلم يحترف الطب ويعيش فى الريف ، وكان فرانتس كافكا على علاقة وثيقة به خاصة ، وخامس هو رودولف كان يعمل كموظف حسابات فى مصنع بيرة واعتنق الكاثوليكية وكان ـ مثل ابن اخته فيما بعد ـ غامضا حزينا عكوفا مسرفا فى التواضع والخجل ·

أما أبو فرانتس كافكا ، هرمن كافكا ، فهو تشيكى من أصل وضيع من جنوب منطقة بوهيميا ـ وكلمة كافكا كلمة تشيكية معناها ـ طائر الزيغ وهو نوع من الغربان ـ فقد كان أبوه جزارا ، وكان أولاده ومنهم هرمن كافكا يساعدونه فى عمله ·

ويهمنا أن نوضح هنا أن والد كافكا كان يتكلم اللغة التشيكية لغة أصلية وأنه تعلم شيئا من اللغة الألمانية لم يكن يتقنه حتى بعد أن هاجر الى براغ واستوطنها • كذلك يهمنا أن نذكر أنه انتقل الى براغ وافتتح فيها محلا لبيع الخردوات والملابس وبدأ يحقق أرباحا متزايدة ، فبدأت أحلام الصعود الاجتماعى تراوده ، وقرر أن يكون ذلك عن طريق الاندماج فى الطبقة الألمانية ببراغ ، وفى الزواج من بنت ذات غنى وحسب • وهكذا بدأت حياة هرمن كافكا تصطبغ بصبغة التحول من التشيكية الى الألمانية ، وبصبغة الوصولية والعنف فى نفض غبار الماضى الفقير والانطلاق الى آفاق أعلى ، كذلك خيم على العلاقات بين هرمن كافكا وزوجته جو كريه من الكراهية الكامنة أو من الاحساس بالفارق الاجتماعى بينهما •

فرانتس كافكا هو سليل هذه الأسرة التى حاولنا أن نرسم بايجاز صورتها • منذ خرج الى الدنيا وهو يعيش وسط ميراث هذه الأسرة من الحيرة : حيرة بين التشيكية وبين الألمانية وحيرة بين الغنى والفقر ، وحيرة بين الضعة والحسب ، حيرة بين الوجود السوى والوجود المعتل • كتب كافكا فى خطابه الشهير الى أبيه (عام ١٩١٩) يقول :

« لقد كنت مثلا تسب فى التشيك ثم تسب فى الألمان، ثم تسب فى اليهود ، ولا تقتصر فى سبابك على شيء تختاره ، بل تصب سبابك على كل شيء حتى لم يبق احد سواك انت » · من هذه العبارة تتبين ان فرانتس كافكا تعرض فى أسرته لهذه الحيرة ، لم يكن ابوه صادق الايمان بشيء ، فلا هو تشيكى، ولا هو المانى ، اما الحيرة بين الماضى الفقير والحاضر الثرى فقد عانى منها الكثير · يقول « ما تزال الأركان المظلمة والممرات الغامضة والشبابيك المسدودة والأفنية القذرة والحانات الصاخبة والفنادق المقفلة المستترة تعيش فينا · حقيقة اننا نسير خلال الشوارع العريضة فى المدينة الحديثة البناء ، ولكننا نسير بخطى ونظرات غير مطمئنة · اننا لا نزال نرتعد كما كنا نرتعد فى حارات البؤس القديمة » · لقد عاش فرانتس كافكا تلك الصورة البائسة التى ابدع تصويرها ، وتألم منها ولها الى اعمق اعماق ذاته ، فاذا به لا يخلص منها ، ولا يتغلب عليها ، حتى وقد انتقل الى الصورة المنيرة الوضاءة · انه كسر أصاب نفسه ، كالكسر الذى يصيب البللور ، انى له ان يعالج او يصطلح، وأما الحيرة الكبرى التى تعرض لها فى صغره وشبابه فكانت نابعة من شخصية ابيه غير السوية ،

فلم يعرف الأب كيف يتيح لأولاده جوا حنونا معتدلا ، ولم يتمكن من فهم أولاده وتشجيعهم على الانطلاق كل فى اتجاهه السليم • كان الأب يقضى أغلب وقته فى دكانه الكبير ، وكانت الأم مضطرة الى الذهاب معه الى الدكان لتصلح الأحوال التى كثيرا ما كانت تختل بينه وبين موظفى الدكان ، وتصل الى حد الشتائم : يا بهائم ويا كلاب • على حد وصف فرانتس كافكا • أما فى المساء فكان الأب يلعب الورق ـ الكوتشينة ـ ويثير حوله جوا من الصخب والشجار والصياح يعتبره من ضرورات اللعب ، ويدخن الغليون ويثير حوله دخانا قاتما ساما ثقيلا على الصدور ينفر الأولاد • أما الأولاد فكان أمرهم فى يد المربية والطباخة والخادمة • وقد صور حاله مع الطباخة فى خطاب أرسله الى صديقته ميلينه يزينسكا فى الفترة الأخيرة من عمره ، قال : « كانت طباختنا ، وهى امرأة قصيرة عجفاء نحيفة مدببة الأنف مجوفة الخدين مصفرة البشرة ، ولكن صلبة ذات همة وتأن ، تأخذنى كل يوم الى المدرسة •• وكانت الطباخة عندما نخرج من البيت تقول لى أنها ستحكى للمدرس اننى كنت غير مهذب فى البيت ، والظاهر اننى لم أكن قد تصرفت فى البيت تصرف غير المهذب،

بل كنت عنيدا ، بليدا ، حزينا ، غضبان ، ولكن هذا كان من شأنه على ما يبدو أن يؤدى الى مالا يحمد عقباه • وكنت أعرف الأمر ، ولهذا لم أكن أستهين بالتهديد •• فكان الخوف من التهديد يتمكن منى ، ولقد كانت المدرسة ذاتها بالنسبة لى شيئا مرعبا ، فما بال الطباخة الآن تريد أن تزيدها صعوبة ! كنت أتوسل اليها وهى تهز رأسها وكلما أكثرت التوسل ، كلما زادت قيمة ذلك الذى كنت أتوسل من أجل الحصول عليه ، وكلما عظم الخطر ، وكنت أقف وأرجو المغفرة ، فتجذبنى ، وتهددنى بانتقام والدى ، وكانت تضحك ، فقد كانت هنا ذات القوة الكاملة ، وكنت أتشبث بأبواب الدكاكين وأركان المبانى ، فلم أكن أريد أن أستأنف السير الا بعد أن تكون قد سامحتنى ، فكنت أشاهدها من ثوبها (فلم يكن أمرى باليسير عليها) ، ولكنها كانت تستمر فى جرى وهى تؤكد لى أنها ستحكى هذا أيضا للمدرس ، ويتأخر الوقت ، وتدق ساعة كنيسة ياكوب الثامنة ، ويأتى الى السمع صوت جرس المدرسة ، وكان تلاميذ آخرون يهرعون ، وكنت أنا أخاف أعظم الخوف من التأخر ، وهكذا كان يتحتم علينا أن نجرى وأنا ما أزال أفكر : « ستحكى له ــ لا لن تحكى له » وعندما نصل كانت

لا تقول شيئا ، لم يحدث أنها قالت للمدرس شيئا ، ولكنها كانت دائما تملك امكانية ، بل امكانية تزداد باستمرار (كانت تحتج بأنها لم تقل بالأمس ولكنها ستقول اليوم بكل تأكيد) ولم تكن قط تتخلى عن تلك الامكانية ٠ ـ كان فرانتس كافكا كما توضح هذه القصة يعيش أثناء طفولته فى رعب ، لا أمه تحنو عليه ، ولا خادمته تلين له ، فمن الطبيعى أن تختل نفسيته ، وقد افترضنا أنه ورث عن أقارب أمه شيئا من العصابية ، وعلمنا أنه كان ضعيف البنية ٠ ـ ولم يقتصر تأثير سياسة الأب ومسلكه نحو أولاده على هذا ، بل تجاوزه الى أكثر من هذا بكثير ٠ كان رجلا غليظا عنيفا مع أولاده ٠ فى خطاب فرانتس الى أبيه نقرأ مثلا : « لقد اتصفت فى نظرى بذلك الشىء الغامض الذى يتصف به الطغاة جميعا ، أولئك الذين يبررون حقهم بشخصهم لا بالتفكير » أو يقول فى موضع آخر : « انك تستطيع أن تعامل الطفل بما خلقت به ، بالعنف ، بالصخب ، بالغضب ٠ ولقد بدا لك هذا فى حالتى مناسبا جدا ، لأنك كنت تريه أن تنشىء منى شابا شجاعا قويا » ٠ وقد كتب فرانتس كافكا الى أخته ، وكان فى ذلك الوقت فى الأربعين من عمره ، خطابا تناول فيه أثر التربية السيئة ووسائلها ، وتحدث عن خبرته

مع والديه ووصل فى النهاية الى الخلاصة وهى : « ان الوالدين يستخدمان وسيلتين للتربية هما وليدتا الأنانية : الطغيان والاستبعاد بكل الدرجات ، أما الطغيان فقد يبدو شديد الرقة « لابد أن تصدقنى فأنا أمك ؟ » وأما الاستعباد فقد يبدو شديد الكبرياء « انك ابنى ولهذا فسأجعلك شديد الكبرياء » انك ابنى ولهذا فسأجعل منك منقذى ومخلصى » ولكنهما وسيلتان فظيعتان ، وسيلتان لا تربويتان تصلحان لدك الطفل فى التربة التى خلق منها دكا » وفى يومياته كتب حول عام ١٩١٤ مسودة خطاب الى والد صديقته التى كان يوشك على خطبتها وهى فيليتسه باور ، يقول : « اننى أعيش فى أسرتى بين خيرة وأحب الناس ، غريبا بين غرباء • لم اتكلم مع أمى فى السنوات الماضية الا عشرين كلمة كل يوم فى المتوسط ، ولم ازد فى حديثى مع ابى عن كلمات التحية بحال من الأحوال • أما اخواتى المتزوجات وكذلك ازواجهن فلا اتحدث معهم قط ، اللهم الا لنغضب بعضنا من البعض • والسبب بسيط وهو انه ليس هناك اقل قليل اقوله لهم » •

كان هذا الجو فى بيت الأسرة من شأنه أن يفسد على فرانتس كافكا حياته كلها • فاذا انتقلنا الى

البيئة الثانية التى احتك بها بعد البيت ، وهى المدرسة، وجدنا أنه لم يخرج منها الا بمزيد من الخوف واليأس والانكار والمرض • فى خطاب فرانتس كافكا الى صديقته ميلينه ذلك الخطاب الذى استشهدنا به من قبل جاءت عبارة : « وكانت المدرسة بالنسبة لى شيئا مرعبا » ، وهذه العبارة هى خلاصة خبرة فرانتس كافكا في المدرسة • أرسل هرمن كافكا ابنه فرانتس وهو فى العاشرة الى المدرسة الثانوية الانسانية الألمانية ، ليقيم الصلة بينه وبين الطبقة الألمانية ، وليفتح له بها السبيل الى الدخول فى سلك وظائف الحكومة الملكية النمساوية، فقد اعتادت الحكومة على الاعتما دعلى هذه المدرسة في الحصول على حاجتها من الموظفين لم تكن هذه المدرسة تتيح فرصة للتلاميذ كى يتصلوا بالمدرسين ، فقد كانت العلاقة بين التلميذ والمدرس فيها تتلخص فى احترام التلميذ للمدرس وامتثاله له ، وكان العمل فيها هو تلقى الدروس وحفظها فى صمت • وكان أهم جزء فى برنامج المدرسة هو اللغتين القديمتين : اللاتينية والاغريقية ، ثم التاريخ القديم • أما اللغة الألمانية فكانت تدرس فى ثلاث ساعات فقط • وأما المواد المتصلة بالحياة الحاضرة فكانت مهملة ، أما التربية والعناية بالشخصية

وفهم نفسية التلاميذ فأمور لم تعمل لها المدرسة حسابا ، وكانت هى أهم ما يحتاج اليه انسان مضطرب حيران كفرانتس • ويبدو أن هذه المدرسة كانت ، لا تحس تقريب مواد الدراسة الى افهام التلاميذ ، فقد خرج كافكا من المدرسة لا يفهم روح الثقافة الكلاسيكية القديمة ، لأن المدرسين كانوا يركزون جهودهم ، كما كتب فى يومياته وسجل فى خطاباته ، على قواعد اللغة وغريبها • - أما دروس الدين فيقول كافكا عنها انها « كانت لاشىء، أو كانت مزاحا ، لا ، بل لم تصل حتى الى درجة المزاح » ويروى أنه كان يقضيها فى التثاؤب ويقول انه كان يحس فيها بملل لم يحسه فيما بعد الا فى دروس الرقص •• (أنظر أيضا خطابه الى أبيه) - لم يأخذ فرانتس كافكا ما كان بحاجة اليه ، لا فى المدرسة ، ولا فى البيت ، وكان الشىء الذى يحتاج اليه أشد الاحتياج هو أن يفهمه الكبار ويوجهوه الوجهة التى تتفق مع فرديته • وقد علق على هذا فى مذكراته بقوله : « كانوا ، على قدر ما علمت ، يعملون فى المدرسة وفى البيت ، لبلوغ هدف هو محو السمة الشخصية فى • لم يتبين أحد سمتى الشخصية » •

كانت نتيجة هذه الخبرات كلها أن فقد فرانتس كافكا الثقة فيما وفيمن حواليه ، ولاذ بالصمت

والانعزال ، واشتد به الخوف والخجل ، وأصبح جساسا مفرط الحساسية لا يحتمل الضوضاء أقل الضوضاء ، ولا يحتمل هواء الأماكن المقفلة ويتصوره كحجرة أبيه ، مليئا بالدخان ثقيلا على الصدر • وكان من نتيجتها أيضا أن تكون لديه دفعة عنيفة باطنية تدفعه الي التعبير عن ذات نفسه فى خلق فنى ، كانت له القدرة عليه • ولكن هذا الخلق الفنى لم يمكنه من سد الفجوة التى كانت تباعد بين الآخرين وبينه ، بل أدت الى العكس من ذلك تماما •

ولما أتم المدرسة الثانوية الألمانية وحصل على شهادتها عام ١٩٠١ سافر الى هلجولاند ـ جزيرة الاجازات والإستجمام فى شمال ألمانيا ـ حيث قضي عدة أسابيع • فلما عاد الى براغ بدأ يستعد للالتحاق بالجامعة • كان يريد أن يدرس الفلسفة ولكن هذه الرغبة لم تلق من أبيه الا المعارضة الشديدة ، لأنه كان يريد له أن يصبح موظفا فى الحكومة ان أمكن ، وما عسي الفلسفة أن تفيد فى بلوغ هذا الهدف • فانصرف عن الفلسفة وبدأ يدرس الكيمياء • ثم ما لبث أن تركه الكيمياء ودراستها والتحق بمعهد القانون الرومانى • ولكن دراسة القانون لم تصادف هوى فى نفسه على الاطلاق فقرر ان يختلف بلاضافة الى محاضرات القانون الى محاضرات فى تاريخ الفن

وخاصــة التصــوير والنحت ، وفى الآداب الألمانيــة ، وفى الفلسفة وعلم النفس • وظل فرانتس كافكا طـوال سنوات الدراســة فى براغ لم يغـادرها الا لبضعة أيـام قضاها فى ميونيخ حاضرة بافاريا الشهيرة ، ثم لفتـرة استجمام قضاها ى مصحة تسوكمانتل بين البحيـرات والغابات ، فى يولية من عـام ١٩٠٥ • وقـد كانت رحلة كافـكا الى المصحة ضرورة ملحة لأن حالته الصــحية عموما وحالته العصبية خصوصا كانت قـد تدهـورت تدهورا شديدا من وطأة الدرس المتعب السـقيم ، ونتيجة لمقدمات اطلعنا عليهـا فى المراحل الســابقة لحيـاته •
ولم تكن علاقات فرانتس كافـكا بزملائه فى الجــامعة خيرا من علاقاته بزملائه تلاميذ المدرسـة الثـانوية ، فقد ظـل دائما عكوفا على نفسه ، عزوفا عن النـاس الا قليـــلا • والأرجح أن تشاؤمه ازداد ، وأن حيرته اشتدت خاصــة وأنه كان قد بدأ يعــالج الانتــاج الأدبى ويخشى أن ينتهى الى وظيفــة فيمــا بعـد ، تحــول بينــه وبين الأدب • والمحقق أنه بدأ يصـــل الى أعمـــاق أبعـد فى تحليله نفسه ، وبدأ يحــاول تحـديد الحياة ، وتحـديه حيــاته ، ويرى أنهــا عبـارة عن « صــعود وهبــوط طبيعى ثقيــــل له وضـــوح لا يقـــل عن وضـــوح العـــدم » •

وفى ١٨ يونية عام ١٩٠٦ حصل فرانتس كافكا على الدكتوراه في القانون بدرجة مقبول ، وكان مسرورا بهذا التقدير سرورا شديدا ، فهو قد بذل الجهد الشديد في الدرس ما في ذلك شك ، ولكنه لم يكن يريد أن يبلغ فيه غير النجاح ، خوفا من الفشل وخوفا من أهله · وليس الحديث هنا عن الخوف حديث مبالغة ، بل حديث حقيقة ؛ فقد كان الخوف هو الشيء الذى عمل له فرانتس كافكا فى حياته ألف حساب ، وأعماله تنطق به فى كل موضع · وأراد كافكا أن يتفرغ للأدب ، ولكن المحيطين به من أهله خاصة كانوا ينكرون عليه هذا انكارا · وكافكا يحكى فى يومياته غلظة أهله معه فى هذا السبيل ولنقرأ هذا المثل : « يا للفظاعة التى حاقت بى عندما بدأت أعالج الأدب ·· ياللبرودة التى كانت تلاحقنى من جراء ما كنت أكتب ·· كنت ذات مرة أنوى كتابة رواية تدور حول أخوين يتصارعان ، ذهب أحدهما الى أمريكا ويبقى الآخر فى سجن بأوروبا ، واستغرقت فى الكتابة عصر يوم أحد كنا فيه فى زيارة الجد ·· وكان ما كتبته يدور حول السجن ·· كانت سطور قليلة تصف ممر السجن وتصف خاصة برودته وسكونه وتمس بكلمة مواساة الأخ الذى بقى فى أوروبا ، فقد كان هو الأخ الطبيب · ولعلى كنت أحس احساسا

عابرا بتفاهة الوصف الذى وصفته ولكننى لم أكن قبل عصر ذلك اليوم أعمل حسابا لمثل هذا الاحساس كنت عندما أجلس بين أهلى الذين كنت ألفهم (وقد كان خوفى شديدا ، وكانوا هم نتيجة لهذا يمنحوننى نصف السعادة بجو الألفة الذى يضمهم) ، أجلس الى المائدة المستديرة ، فى حجرة معروفة ، لا أستطيع أن أنسى أننى صغير السن واننى وسط هذا الهدوء مختار لشىء عظيم · وتناول أحد أخوالى ــ وكان يحب التهكم ــ منى الورقة التى كنت أمسكها برفق ، وتطلع اليها قليلا ، ثم ردها الى دون أن يضحك ، وقال للآخرين الذين كانوا يتابعونه ببصرهم « الكلام المعتاد » ، ولم يقل لى أنا شيئا · وبقيت طبعا جالسا ، وانحنيت كما كنت أفعل ، على ورقتى التى قال أنها لا تفيد فى شىء ، ولكنى كنت قد طردت من الجماعة فعلا بضربة من الخال ، وتكرر حكم الخال فى نفسى بمعنى يوشك أن يكون فعليا ، وأبصرت حتى فى وسط الشعور العائلى بالمكان البارد فى عالمنا ذلك المكان الذى ينبغى على أن أدفئه بالنر التى أباحث عنها » ·

.. وكان الأب قبل الآخرين جميعا لا يعترف بنشاط ابنه الأدبى · وقد صور فرانتس كافكا مسلك أبيه معه فى « خطابه الى أبيه » قائلا : « لقد كنت دائما ومن غير تدبر تكره كل لون من ألوان نشاطى وكنت بخاصة تكره طريقتى فى الاهتمام بالأشياء · » وقد فصل ذلك على النحو

التالى : « وقد أصبت بكرهك بطريقة أنجع كتابتى وكل ما كان يتصل لها ، دون أن تعرف ذلك • وكان كرهك فى هذه الحالة ، على قبيل الاستثناء ، شيئا يلقى ترحيبى • كان زهوى وطموحى بطبيعة الحال يعانيان من تحيتك لكتبى ، تلك التحية التى اشتهرت بيننا : « ضعه على المنضدة بجانب سريرى » (وكنت فى الغالب تلعب الورق عندما يأتى كتاب من مؤلفاتى) ولكنى كنت فى قرارة نفسى مرتاحا ، لا نتيجة لشر جائش فحسب ، ولا نتيجة لتأكيد جديد منك لتصورى علاقتنا فحسب ، ولكن لأن هذه العبارة كانت أصلا وقبل كل شىء آخر ترن كقفولك : « أنت الآن حر » وكان ذلك بطبيعة الحال خداع ، فلم أكن حرا ، أو على أحسن الفروض لم أكن قد أصبحت حرا بعد • وان كتابتى لتدور حولك ، فأنا أشكو فيها مما لم أستطع أن أشكوه وأنا فى حضنك • انها تتعمد أن تكون وداعا مطولا منك عنوة ، ويسير فى الاتجاه الذى أحدده أنا له » •

لم يكن من الممكن اذن أن يعكف فرانتس كافكا على الكتابة التى بدأ يعالجها بجد منذ عام ١٨٩٧ ـ ١٨٩٨ • وكان أن بدأ فى أكتوبر من عام ١٩٠٦ عاما تدريبيا ممارسة القانون والمحاماة ، وكان هذا التدريب فرضا يفرضه القانون • فلما انتهى ، دخل فى أكتوبر من عام ١٩٠٧ فى شركة « التأمينات العامة » موظفا مؤقتا ، وبدأ فى عام ١٩٠٨ فى شهر يوليو العمل فى « مؤسسة التأمين على

العمال ضد الحوادث » ، وظل يعمل بها حتى أحيل الى المعاش فى يوليو عام ١٩٢٢ · وقد ترقى فى الوظائف الوظائف فكان فى عام ١٩١٣ مثلا نائب سكرتير المؤسسة وفي عام ١٩٢٠ كان يشغل منصب سكرتير المؤسسة وفى عام ١٩٢٢ كان قد وصل الى وظيفة سكرتير أول المؤسسة · وكان كافكا محبوبا من زملائه ، وهناك من الروايات ما يوحى بأنه كان يساعدد المحتاجين الى المساعدة ، كلما استطاع الى ذلك سبيلا · ولكن كافكا لم يكن راضيا بهذا العمل لأنه كان يضطره الى أن يقتطع من وقت راحته الكثير للكتابة ، حتى أهلكه التعب وأتى على صحته فى نهاية المطاف · وفى عام ١٩٠٧ كتب يقول : « لقد اضطربت حياتى الآن اضطرابا شديدا » ، ويتحدث فى الخطاب نفسه عن خوف عام من الكتابة ، من ذلك العمل الفظيع الذى يعتبر حرمانه منه بمثابة كاملة · « وفكر كافكا بالفعل فى الهرب من براغ ـ المدينة اللعينة ، على حد قوله في ساعة من ساعات غضبه ـ والبحث عن مكان هادىء يتيح له الاستمرار فى عمله الأدبى وصورت له أحلامه هذا المكان في صورة كرسي وثير أمامه نافذة يطل منها فيرى حقول قصب السكر أو مقابر المسلمين ، ولكنه ، على حبه للأماكن الغامضة ، التى ربما سرت فيها العفاريت ، كان يخاف منها ، ولا يجد من العزم ما يكفيه لانطلاقة يتحرر بها ·

ويعتبر عام ١٩١٢ عام البدء فى الانتاج الضخم والانتاج الضخم عبارة نسبية بحتة ، نعنى بها أن كافكا بدأ فى كتابة مجموعة الروايات الكبيرة ، تلك الروايات التى لم يتمها · بل كان يتركها ناقصة أو مبعثرة ، وكان يريد لما لم ينشره منها أن يحرق وأوصى بذلك خلصاءه ، فلم ينفذوا الوصية الا قليلا ، وحفظوا بذلك تراثه العظيم لنا ، بدأ يكتب رواية « الضائع » التى طبعت بعد وفاته بسنوات وقرضت باسم « أمريكا » ، وكتب قصة « الحكم » وفكر فى قصة « القضية » · ولكنه كان كلما تقدم فى الكتابة كلما ساءت حالته النفسية والجسمانية · يقول فى خطاب له الى بعض أصدقائه : « ان الكتابة تبقينى حيا ، ولكن أليس من الأصوب أن أقول أن الكتابة تبقينى حيا هذا الضرب من الحياة ؟ ولست أعنى بذلك بطبيعة الحال أن حياتى تكون أحسن عندما أكف عن الكتابة · بل أننى لو كففت عن الكتابة لساءت حياتى ولأصبحت غير محتملة ولانتهت حتما الى الجنون » · ولقد حاول كافكا أن يبعد عن طريق الجنون وأن يعتدل ، خاصة عندما تعرف على فيليتسه باور فى عام ١٩١٢ (١٣ أغسطس) ، وفكر فى الزواج والحياة حياة طبيعية · ولكن كافكا ، وهذه ناحية أخرى من النواحى الغريبة فى حياته ، لم يكن يتصور النساء الا كشخصيات شاذة ، كعاهرات مثلا ، ويرجع هذا التصوير بطبيعة الحال الى خبرات سيئة له مع النساء ، خاصة فى حانات الليل التى كانت براغ تغص

بها فى ذلك الوقت . وهكذا انتهت علاقته بفيليتسه باور ، رغم الحب واللقاء والخطابات الكثيرة ، بل والخطبة فى ١٩١٤ الى الهجر . ولكن العـلاقة التى بدأت بين كافكا وفيليتسه لم تنته تماما بفسخ الخطبة ، فقد تلاقيـا بعد ذلك فى عام ١٩١٥ ثم فى عام ١٩١٦ ثم فى عام ١٩١٧ حيث تكررت محاولة الاستقرار ، وأعلن الاثنان خطبتهما للمرة الثانية فى سبتمبر من عام ١٩١٧ . وكان كافكا فى هذه الأثنــاء قد أنشأ علاقة أخرى مع صديقة لفيليتسه هى جريته بلوخ ، وقد أثمرت هذه العلاقة ابنا مات بعد سبع سنين باحت بلوخ بهذا السر لأول مرة فى عام ١٩٤٠ فى خطاب خاص الى بعض الأصدقاء ، جاء فيه أيضا ان كافكا لم يقبل الاعتراف بأبوته للولد ، فى الغالب خوفا من فيليتسه ، وفى عام ١٩١٧ ، وعلى وجه التحديد فى أول أغسطس منه ، بصق كافكا ، دما ، وتأكدت اصابته بالسل الرئوى . يقول « اذا مت فى المسـتقبل القريب أو أصبت بالعجز التام .. فسيكون لى أن أقول أننى مزقت نفسى بنفسى . الدنيا . وأنا اثنان مزقا كلاهما جسـمى فى صراع لم يكن من الممكن التغلب عليه » .

وهكذا شاء القدر أن يأتى بالسل الرئوى فيحول بينه وبين الزواج من فيليتسه ، بعد حب وفراق واتفاق وخطبة وانفصال ولقاء ، وخطبة مجددة . على أن يوميـات كافكا ورسائله توحى بأنه لم يفسخ الخطبة الثانية بسبب المرض وحده ، وانما بسبب حالته العامة المضطربة الحائرة ،

ورغبة منه فى العكوف على الانتاج الأدبى دون سواه • فى ذلك الوقت ترك كافكا براج للاستشفاء فى « تسيراو » حيث كانت أخته قد اتخذت مزرعة وقامت عليها بنفسها • ولكن حالتـه لم تتحسن كثيرا • فعاد الى براغ ، وبقى الصيف هناك ثم انتقل الى قرية شمالها هى قرية « شيليزن » أقام فى بنسيون بها • وهناك تعرف بفتاة تشيكية ابنة صانع أحذية اسمها « يوليا فوريتسك » ، وقرر الزواج بها وأعلن الخطبة الثالثة (عام ١٩١٩) ، لكن هذه الخطبة كانت متعجلة ، وانتهت الى الفسخ • وفى ديسمبر عام ١٩١٩ عاد كافكا الى براغ وبقى حتى شهر أبريل ١٩٢٠ ، حيث سافر الى ميران للاستشفاء ومن هناك تبادل الرسائل مع امرأة تشيكية شابة هى ميلينا يزينسكا ، كان قد تعرف بها على عجل فى براغ ، لأنها كانت تريد ترجمة شيء من أعماله الى اللغة التشيكية ، وكانت ميلينا تعيش فى فيينا ، شبه مطلقة • ورجت ميلينا فرانتس كافكا أن يزورها فى فيينا فى طريق عودته من ميان ، ففعل • ونشأ بين الاثنين حب عارم ، ألهبته ميلينا بروحها المتأججة ، وأرادت أن تبقى على الدوام بجواره ، فقد أحست أنها هى الوحيدة التى تستطيع أن تفهمه ، وتدخل الاستقرار الى حياته ، ولكن فرانتس كافكا رفض وعاد وحده الى براغ • وكتب اليها فى أواخر عام ١٩٢٠ يرجوها أن يكفا عن التراسل • وبعد جهد جديد فى الكتابة سافر كافكا فى ديسمبر عام ١٩٢٠ الى ماتليارى ودخل

مصحة المصابين بالسل ، حيث صادق طبيبا شابا محبا للأدب اسمه روبرت كلوبتشتوك ، ظل مخلصا له حتى مات فكان بجواره · وقطع كافكا اقامته فى المصحة فى سبتمبر ١٩٢١ وعاد الى براغ حيث استأنف الكتابة بجد فأتم على سبيل المثال رواية « القصر » فى الفترة بين يناير وسبتمبر عام ١٩٢٢ وتخللت هذه الفترة اقامات فى بلانا عند أخته أوتلا ، وفى شبندلموله ، ورحلات الى بحر البلطيق والمنطقة المجاورة ، وفى عام ١٩٢٣ تعرف بصديقته الأخيرة دورا ديامانت ، وسافر من أجلها الى برلين ـ المدينة الوحيدة التى يمكنه أن يعيش فيها ، على حد قوله ـ هاربا من براغ ، واتخذ مع دورا مسكنا متواضعا عاش معها فيه فترة سعيدة خصبة وفى مارس عام ١٩٢٤ ساءت صحته بدرجة شديدة ، فقد زحف السل الى الحنجرة وأصبحت الحالة ميئوسا منها ، فحضر بعض أقاربه وأصدقائه وحملوه الى براغ · وفى أول أبريل نقل الى مصحة بفيينا وبقى بجواره الطبيب الشاب روبرت كلوبتشوك والصديقة الأخيرة دورا ديامانت ، الى أن فاضت روحه فى الثالث من يونية ١٩٢٤ وعمره أقل من ٤١ سنة بشهر واحد · ودفن فى براغ ·

ثالثا : أعماله :

أقل أعمال فرانتس كافكا هو ما ظهر فى حياته ، وأهمها ما ظهر بعد وفاته ، وأغلبها أعمال أوصى بحرقها ،

لأنه لم يكن يحب أن يقدم الى الجمهور أعمالا ناقصة ، أو مشوهة • وقد سبق أن أشرنا الى الطبعة الموجودة بين أيدينا حاليا طبعة يرتاب فيها العلماء ، وكل ما نرجوه أن تتاح لبعض المحققين الموضوعيين المدققين فرصة اخراج طبعة تطابق تماما المخطوطات الأصلية •

الأعمال المبكرة :

ظهرت فى مجلة « هيبريون » فى عامى ١٩٠٨ و ١٩٠٩ وهى :

- الأشجار
- الثياب
- الطرد
- التاجر
- تطلع تائه
- الطريق الى البيت
- العابرون
- المسافر
- أجزاء من « وصف معركة »

الأعمال التالية التى ظهرت فى حياة كافكا :

تأمل ١٩١٣ (الناشر روفولت فى لايبتسج)

العطشجى ١٩١٣ (مقتطف • الناشر كورت فولف في لايبتسج)

التحول ١٩١٥ (الناشر كورت فولف ، لايبتسج)

الحكم ، قصة ١٩١٦ (الناشر كورت فولف ، لايبتسج)

في معسكر العقاب ١٩١٩ (الناشر كورت فولف)

طبيب ريفي • مجموعة من القصص القصيرة ١٩١٩ (الناشر كورت فولف ، ميونيخ ولايبتسج)

فنان جائع ، أربع قصص ، ١٩٢٤ (دى شميدة برلين)

الأعمال التى ظهرت بعد وفاته قبل الحرب العالمية الثانية :

- القضية ، برلين ١٩٢٥ (رواية)
- القصر ، ميونخ ١٩٢٦ (رواية)
- أمريكا ، ميونخ ١٩٢٧ (رواية)
- عند بناء سور الصين • قصص وكتابات منثورة من مخلفات كافكا برلين ١٩٣١ •
- امام القانون برلين ١٩٣٤
- مجموعة أعمال كافكا فى ستة اجزاء ظهرت فى برلين

ثم براغ بين عام ١٩٣٥ و ١٩٣٧ وهى تضم الأعمال السابقة بالاضافة الى اليوميات والخطابات ٠

الطبعة الحالية لأعمال فرانتس كافكا :

ظهرت فى فرانكفورت (الناشر فيشر) بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٦٧ وهى :

★ القضية
★ القصر
★ يوميات ١٩١٠ ـ ١٩٢٣
★ الرسائل الى ميلينا
★ القصص
★ امريكا
★ استعداد عرس فى الريف واعمال نثرية اخرى من المخلفات
★ وصف معركة ٠ قصص ، محطات ، متفرقات من المخلفات ٠
★ الرسائل ١٩٠٢ ـ ١٩٢٤
★ رسائل فرانتس كافكا الى خطيبته فيليتسه باور (٧٠٠ صفحة ، بعناية أريش هيللر) ظهر هذا العام ١٩٦٧

رابعا : شخصية كافكا وأفكاره :

كان فرانتس كافكا منذ الصغر ضعيف البنية ، معتل الصحة ، ومازالت العلة ـ السل الرئوى ـ تشتد به حتى أتت على حياته ولم يتجاوز الأربعين الا بشهور • وكان أبرز شيء فى شخصيته هو الخوف الشديد ، وأعماله الأدبية وكذلك رسائله ويومياته مملوءة بكلمة الخوف ومرادفاتها • فى يومياته كتب عام ١٩١٢ : « هذا الخوف الأساسى الذى يلزمنى دائما أبدا » وفى رسالة له الى ميلينا كتب عن قصة « الحكم » يقول : « فى هذه القصة كل جملة ، كل كلمة ، كل نغمة ـ ان أمكن هذا التعبير ـ مرتبطة بالخوف » • أما خطابه الى أبيه ذلك الخطاب الهام الذى أشرنا اليه واستشهدنا بعبارات منه فى أكثر من موضع فهو يبدأ بحديث عن الخوف • يقول موجها الكلام الى أبيه : « لقد سألتنى منذ قليل مرة لماذا أدعى أننى أخاف • ولم أستطع كالمعتاد أن أجيب عليك بشيء ، لسبب بعضه هو خوفى منك ، وبعضه الآخر هو أن تعليل هذا الخوف ترتبط به تفصيلات كثيرة لا أستطيع أن اجمعها على نحو ما فى حديث عابر ، وأنا اذا كنت أحاول ان أجيب عليك كتابة ، فالاجابة ستكون ناقصة جدا ، لأننى حتى وأنا أكتب أحسن بالخوف وبنتائجه تعوقنى عن الاجابة •• » كل شيء أمام كافكا غارق فى الخوف ، خوف من الناس ، من الأشياء ، من الوجود ، من العدم • وتقوم

على احساس الخوف عند كافكا الفكرة الأساسية التى تحمل حياته وأعماله كلها : فكرة الحكم • ان ما يحدث للأنسان أو ما يتعرض له الانسان من الأشياء والناس هو عملية حكم ، انها وانهم يحكمون عليه باستمرار ، وهذا الحكم ، لا يفترض فيه كافكا الايجابية ، بل السلبية – وهذا شيء طبيعى لأنه خواف – إنه حكم ينصب على الانسان ويسير حياته حتى يصل بها الى الخراب والفناء ومن العناصر الهامة التى كان كافكا يخشي منها العفاريت والأشباح وما اليها من كائنات سحرية غامضة ، وهذا العنصر له صداه فى أعماله ، ويظهر تارة مباشرة ، وتارة فى صورة وسط بين الواقع ، واللاواقع ، فيما يشبه الأحلام – ثم تبرز فى شخصية كافكا سمة أخرى هى الحساسية المفرطة ، انه لا يحتمل الضوضاء مهما قلت ، ولذلك نجده يكثر من الانتقال من بين الى آخر التماسا لمزيد من الهدوء • وتتخذ الحساسية مرتبطة بالخوف صورة الخوف المبالغ فيه من الذنب ، وهذا الذنب ليس دينيا ، ليس من النوع الذى يعرفه المتدينون والذى يتمثل فى غضب الله ، انما هو احساس بأنه ما كان ينبغى فعل هذا أو ذاك من الأمور ، وهو احساس قوامه الألم خاصة فى خطابه الى أبيه يقول : « لقد فقدت أمامك الثقة بالنفس ، وتكون لدى بدلا منها شعور بالذنب لا حدود له » • وكان هذا هذا الشعور بالذنب يظهر فى صورة خجل شديه حتي أن كافكا قال : ان خجله من فرط ضخامته ،

سيظل باقيا حتى بعد أن يموت هو . ـ وكان كافكا يحس بحاجة الى الناس ، ولكن تلك الحاجة لم تكن تصل الى نتيجة . يقول كافكا : « هذه الحاجة الى الناس ، التى تختلج فى نفسى وتتحول الى خوف عندما تشبع ، لا تتخذ هيئة صحيحة الا فى الاجازات . » ، فقد كان كافكا ، كما كتب فى يومياته يعيش فى أرض على الحدود بين العزلة والاندماج ، ولا يبرحها الا فيما ندر ، ويجد فيها جمالا لا يزيد عليه جمال . وقد جرب كافكا الحياة من الناس فلم يفلح .. جرب الحياة مع أهله فعاش بينهم غريبا بين غرباء ، وقد سبق أن أوردنا النص ، وجرب الحياة مع فيليتسه باور عشرة أيام فى عام ١٩١٦ فصرح فى يومياته من « محنة المعيشة مع آخر » ومن « عدم استطاعته احتمال المعيشة مع كائن من كان » ولم يتغير كافكا الا فى الأسابيع التى سبقت موته عندما عاش فترة مع دوراديامنت . ـ وعلى الرغم من أن فرانتس كافكا عاش فى مسقط رأسه لم يبرحه الا فى رحلات قصيرة ، فانه كان يحلم بالانطلاق الى بعيد وكان كثير السخط احيانا على براغ ، التى قال عنها غير مرة « المدينة اللعينة » ، وقدد فكر بعد حصوله على الدكتوراه فى الهجرة الى جنوب أمريكا ، والتحق بمعهد اسمه « أكاديمية التصدير » ، وتعلم اللغة الأسبانية . ولكن المشروع لم يتحقق . ولكنه ظل يتمنى أن يتمكن ذات مرة من الجلوس على كرسى فى أبعد البلاد ـ لم يكن خوف كافكا يحول بينه وبين النشاط

ونحن بقدر ما يمكننــا أن نقول عن كافكا انه كان كثير الخوف ، بقدر ما يمكننا أن نقول انه كان كثير النشاط ، ونشاط كافكا يظهر فى صورة الانتــاج الأدبى الضخم الذى أنتجه فى سنوات قليلة لم يتفرغ فيها تماما ، ويظهر فى صورة التأمل والتهويم ، ولابد أن فرانتس كافكا ، وقد أدرك منذ الصغر أننه لا يستطيع أن يندمج فى الآخرين ، انصرف الى ذاته ، وأغرق فى التأمل والأحلام ، وقد ادى هذا الى غلبة الذاتية على انتاجه كله ، والى التفاف ذلك الانتاج كله بغلالة رقيقة منسوجة من خيوط الأحلام ·

على أن انتاج كافكا الأدبى تأثر الى جانب هــذه الخبرات الذاتية بمؤثرات خارجية من كتب ألفها الكبار والصغار ومن محاضرات ألقاها الأساتذة وغير الأساتذة ومن احتكاكات بهــذا وذاك من الناس ، وهذه المؤثرات الخارجية يكشف عنها كافكا فى مواضع كثيرة من رسائله ومن يومياته · قرأ كافكا فى فلسفة شوبنهور وفى فلسفة نيتشه (وكان مشتركا فى مجلة « كونستفارت » التى كان نيتشه من مؤسسيها) ، وقرأ باهتمام كبير يوميات هيبل وأميل وبيرون وجريلبارتسر وأحاديث اكرمان مع جوته ، وخطابــــات جوته وخطابات جرابه والتهم عددا من سير الأدباء والفلاسفة وخاصة عن شوبنهاور ودوستويفسكى · كذلك اشتغل بمؤلفات هاينريش فون كلايست وجوستاف

فلوبير واعجب بهما اعجابا يقرب من التقديس • ــ كذلك اختلف بانتظام الى محاضرات كانت تلقى فى « دار فانتا » ببراغ ، مساء وكانت السيدة برتا فانتا وهى زوجة أحـد الصيادلة ، بدافع من حب الثقافة تدعو اليها • وكان من بين من دعتهم من العلماء كوفالفسكى وفرانك وايرنفيلس وألبرت اينشتاين • وهكذا تعرف كافكا على نظريات أساسية فى ثقافة العصر وخاصة نظرية النسبية ونظريات التحليل النفسى •

وكانت أسرة فانتا أسرة عجيبة ، فقد كان بعض أفرادها من المسلمين والبعض الآخر لا دينيين أو بوذيين أو غير ذلك •

أما أهم محاضرات تأثر بها فرانتس كافكا فكانت محاضرات تلاميذ الأستاذ فرانتس برتنانو ، الذين كانو يحاضرون فى جامعة براغ ، وهم أنتون مارتى وأوسكار كراوس وألفريد كاستيل • وقد استمع كافكا بكل تأكيد الى محاضرات أنتونى مارتى فى العام الأول له بالجامعة • وكانت تدور حول فلسفة برتنانو • وكان برتنانو يقسم الظواهر النفسية الى مجموعات ثلاث : تصورات ــ أحكام ــ انفعالات •

والأحـكام فى نظرية برتنانو هى التى ينبنى عليها بالدرجة الأولى المسلك الخلقى السـوى للانسان ، لأن

التصورات والانفعالات لا يمكن تبريرها تبريراً كافيا ، بعكس الأحكام التى لا تكون أحكاما الا اذا كان لها ما يبررها ، عرفناه أم لم نعرفه • وكانت نظرية برتنانو ترى أن أساس تكوين الاحكام على نحو رفيع هو القدرة على التحليل الذاتى • ـ أخذ فرانتس كافكا عن هذه النظرية تقسيماتها هذه ، وأخذ عنها أهمية التحكم وأهمية التحليل الذاتى ، حتى أصبح لا يرى الناس الا ويتصور هذا يحكم على ذاك ، ولا يرى الناس الا ويتصورهم يحكمون عليه أحكاما دائمة لا تنقطع ، واتخذت « وصفة » التحليل الذاتى ، أهمية كبيرة لديه ، وكيف لا وقد عرفنا من غير هذا وذاك عكوفا على نفسه •

ونحن لا نعتقد أن فرانتس كافكا كان قد بلغ مرحلة تكوين فلسفة خاصة فى شكل مذهب متكامل ، كذلك نحن لا نميل الى الأخذ بمقترحات كثيرة يقترحها بعض النقاد فى تفسير الخلفية الفلسفية لأعمال كافكا ، ونرى ان الأصوب أن نتقيد ما أمكن بكتابات كافكا ذاتها وأن نستخلص منها صورة أفكاره • فى يوميات فرانتس كافكا بتاريخ ٤ ديسمبر نقرأ مثلا : « المتطلع الى الأمور من الخارج يجد من الفظاعة أن يموت الانسان أو حتى يقتل نفسه وقد اكتمل نموه ، وان ظل شابا ، ان هذا شيء يحدث فى وسط اضطراب تام قد يكتسب شيئا من المعنى فى وسط مراحل تالية من التطور ، شيء يعتبر انصرافا بلا أمل أو

انصرفا بأمل واحد ، هو أن يعتبر هذا الظهور على مسرح الحياة كان لم يكن شيئا فى وسط الحساب العظيم • انني أوشك أن أكون فى مثل هذه الحال الآن • وأن الموت لا يمكن أن يعنى سوى تسليم عدم الى عدم ، وهذا يستحيل على الاحساس ، فكيف يمكن أن يسلم الانسان نفسه كعدم له احساس الى العدم ، أو الى عدم ليس عدما فارغا فحسب ، بل عدما فوارا ، تتمثل عدميته فى أنه من غير الممكن على الانسان أن يفهمه • » يبدو من هذا النص أن فرانتس كافكا كان يؤمن بلون من ألوان العدمية التى سيطرت على أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، ومن الممكن أن يكون كافكا قد امتص من أفكار نيتشه فكرة اعتبار الفن والابداع الفنى بمثابة وسيلة للتغلب على العدم (ولا نظن أن كافكا اتبع نيتشه فى كثير من افكاره ونعنى خاصة فكرة انسان المستقبل) وهناك شيئا من هذا المعنى النيشتى : « الفن يحوم حول الحقيقة ، ولكنه يصمم على الا يحترق • وقدرة الفن تتمثل فى ايجاد مكان وسط الفراغ المظلم ، يمكن أن يستقبل فيه شعاع من الضوء استقبالا قويا ، دون أن يكون قد سبق التعرف عليه • » وكافكا يحدثنا فى يومياته ورسائله خاصة ، عن عالمين ، عالم فكرى ، وعالم حسى ، ويرى أن العالم الفكرى هو الحقيقة • وما أكثر ما تردد كلمة الخداع فى وصف كافكا لما خرج عن حدود العالم الفكرى فى يوم ما من عام ١٩١٧ أو ١٩١٨ كتب فى

يومياته : « هل يمكنك أن تعرف شيئا آخر غير الخداع ؟ واذا حدث ذات مرة أن تحطم الخداع · فلا ينبغى عليك أن تنظر والا تحولت الى عمود من الملح » · وفى الفترة نفسها تقريبا كتب : « كل شىء خداع » وفى الفقرة نفسها يقول : « وهناك موضوعات لا يمكن أن ينكرها الانسان ويتجاهلها ، اذا لم نكن قد خلصنا منها بالطبيعة · ولا يمكن أن تستخدم اللغة فى الأشياء الخارجة عن حدود العلم الحسى الا على سبيل الاشارة ، ولا يمكن استخدامها بحال من الأحوال ولا حتى على وجه التقريب استخداما يقوم على المقارنة ، نظرا لأن اللغة طبقا للعالم الحسى لا تتصل الا بالملك وبما يتعلق به من علاقات » ·

ونتيجة هذه الاعتبارات تكون المشكلة هى مشكلة ايجاد تكنيك مناسب للتعبير طبقا لهذه المقدمات ، وايجاد وسيلة ما لتحديد قيمة هذا التعبير الفنى وجدواه · أما التكنيك الذى ابتكره كافكا فهو يقوم على بعدين ، رسم صورة فى مجموعها من نوع الحلم والتخريف وهذا هو البعد الأول ، أما البعد الثانى فيتمثل فى ملء هذه الصورة العامة الكبيرة الشاملة بتفصيلات من الخبرات · ففرانتس كافكا فى الواقع يؤمن بأن للفن هدفا أو أهدافا ولا يؤمن بالفن العابث تجده فى خطابه الى أبيه مثلا انه انما كتب ليحرر مالم يستطع النطق به فى كلام

من الحديث المألوف • انه يكتب كتابة من يؤمن بضرورة تبصير الناس بدعائم حياة صالحة ، تبصير الناس بخدود الخداع • أول شيء يريد أن يبصر الناس به هو أن حياتهم تقوم على الأحكام المتبادلة ، وكل أعماله تهدف الى تصوير حالة الانسان اذا اختلت هذه الأحكام • وأساس هذه الأحكام هو العدالة • وقد كتب كافكا فى يومياته فى وقت ما بين عام ١٩١٧ و ١٩١٩ نصا رائعا : « ينبغى علينا نحن أيضا أن نتألم الآلام التى تحيط بنا كلها • لقد تألم المسيح من أجل الانسانية ، ولكن ينبغى على الانسانية أن تتألم من أجل المسيح • ليس لنا جميعا جسم واحد ، ولكن لنا جميعا نمو واحد ، وهذا النمو يقودنا عبر الآلام كلها بهذه الصورة أو تلك • فكما ينمو الطفل متنقلا من مرحلة الى مرحلة حتى يصبح هرما ويبلغ الموت (وكل مرحلة من هذه المراحل تلوح للمرحلة السابقة عليها ، أما فى الرغبة أو الرهبة ، شيئا لا يمكن بلوغه) ، كذلك نتطور نحن أيضا (فى أرتباط بالانسانية لا يقل عمقا عن ارتباطنا بذاتنا) مجتازين كل آلام هذه الدنيا • وليس للعدالة هنا مكان ، كذلك لا مكان للخوف من الآلام ولا مكان لتأويل الألم على أنه من قبيل الكسب » •

ومن الممكن أن يكون مفهوم العدالة قد تأكد فى فكر كافكا من خلال اشتغاله بالحركة الاشتراكية فى براغ •

وقد بدأ كافكا يتحول الى الاشتراكية وهو فى السادسة عشرة من عمره وكان فى ذلك الوقت يتصور الاشتراكية على أنها الجملة العادلة الى لا يتألم فيها الانسان ، ومازالت الاشتراكية تضرب جذورها فى نفسه حتى أنشأ وثيقة مهمة أو برنامجا ، باسم عمال يعملون ولا يملكون ، وصل فيها الى تصور واضح على طريقته للاشتراكية · وكان فرانتس كافكا بكل تأكيد يشترك فى اجتماعات نادى براغ الاشتراكى المسمى « نادى الشباب » وانه كان يحمل القرنفلة الحمراء ، رمز الاشتراكية · وكان هذا النادى يجمع طوائف من الشباب تقوم بنشر الأفكار الاشتراكية ، وينظم المحاضرات العامة والمظاهرات لهذا الهدف · ولعل هذا الماضى الاشتراكى الذى لم تظهر حدوده الا فى السنوات الأخيرة هو الذى دفع الى اهتمام دول الكتلة الشرقية حاليا بكافكا ، فانعقد فى قصر ليبليس قرب ملنيك بتشيكوسلوفاكيا أول مؤتمر لكافكا ، فى صيف عام ١٩٦٣ · وفى هذا المؤتمر قال الأستاذ رومان كارست (وارسو) : « لقد عاش كافكا من أجلنا نحن أيضا » ، وقال الأستاذ أرنست فيشر (فيينا) : « أعيدوا أعمال كافكا من منفاها » ·

كان كافكا يرى أن الأدب لابد أن يوقظ الناس فى خطاب له الى صديق (١٩٠٤) نجده يقول : « أعتقد انه لا ينبغى أن نقرأ الا الكتب التى تعضنا وتخزنا · فاذا لم يوقظنا الكتاب الذى نقرأه بضربة من قبضته تنزل على محنا ،

فما جدوى الكتاب أن نقرأه ؟ .. اننا نحتاج الى الكتب التى تؤثر علينـا كما تؤثر المحنة المؤلمة شديدة الألم ، أو كما يؤثر فينا موت انســان كنا نحبه أكثر من حبـنا أنفسنا ، لابد أن يكون الكتاب كالبلطة التى تحطم البحر المتجمد فينـا » . ثم نقترب الى تحديد أوضح نسبيا لمهمة الأدب عنده هو بالذات ، يقول : « اننى أحـاول دائما أن أحكى شيئا لا يمكن حكايته أن أوضح شيئا لا سبيل الى توضيحه ، أن أقص قصة ما يعتمل فى عظامى وما يمكن أن يجيش فيها كل هذا يتم فى اطار عام قلنا من قبل انه اطار من نسيج الأحلام ، وما بداخله قطع من الحياة فيها الأفكار والنقد ، على شكل صور ، ويمكن أن نلخص المهارة الفنية لكافكا فى أنها مهارة رســم الصورة . ولقد قال كافكا عن نفسه : « أنا انسان ذو عين » ، يريد أن يقول أنه يمتــاز بقدرة على رؤية الصــور . ووصــف عمـله فى رواية « الضائع » (المعروفة الآن باسم « أمريكا ») هكذا : « أنا لا أرسم أشخاصا : أنا أحكى قصة . وهى صور ، ولا شىء غير صور » . كافكا يلتقط من الحياة صورا ، أو هو يحول خبراته الى صور تكون فى مجموعهـا العمل الفنى .

وهذا المزج بين عناصر الواقع واطار الأحـلام يخلق السمة الكوميدية التى تتصف بها أعمـال كافكا والتى تذكرنا بأفلام شارلى شابلن . وكافكا يلتقــط من اطار

الأحلام اشعاعات يدخلها فيما بداخل الاطار ويربطها بنوع من المنطق تظن أن أقرب وصف له من الصحة هو وصفه بأنه منطق الأحلام · فهو منطق فى حد ذاته ، ولكنه بالنسبة لتقديرنا العادى لا منطق · وانك فى قراءاتك لأعمال كافكا تضحك ولكن ضحكك لا يخفى عنك جد الكتاب الذى تقرأه ، انه ضحك كالبكى ·

خامسا : رواية القضية :

تدور أحداث هذه الرواية حول شاب فى الثلاثين من عمره اسمه يوزف ك ـ ولا شك أن حرف الكاف يرمز الى اسم كافكا ، وقد سمى كافكا بطل روايته الهامة الثانية « القصر » ك كذلك ، أما بطل رواية « الضائع » أو « أمريكا » فاسمه كارل ، وهو اسم يبدأ أيضا بحرف الكاف ـ يعمل فى بنك كبير ، يشغل فيه منصب الوكيل · وتبدأ الرواية بجملة مهمة جدا هى : « لابد أن أحد كاد ليوزف ك لأنه اعتقل ذات صباح دون أن يكون قد اقترف اثما » ثم يفصل الفصل الأول من الرواية كيفية الاعتقال ومعناه · كان يوزف ك ينتظر فى ذلك الصباح أن تدخل عليه طاهية البنسيون الذى يسكن فيه بالافطار ، ولكن الذى دخل عليه رجل تبين انه حارس · وعلم يوزف ك ان هذا الحارس ومعه زميل له قد اتيا لاعتقاله · وكان من

الطبيعى أن يسألهما عن الجرم الذى قترفه حتى يستحق الاعتقال ، ولكنهما أفهماه أنهما مكلفان بعملية معينة هى الاعتقال ، وانهما لا يعرفان السبب لان ذلــك ليس من اختصاصهما ، وأمراه بأن يظــل فى حجرته تنفيذاً لأمر الاعتقال وأبلغهما أن رئيسهما سيأتى بعد قليل · وظــل يوزف ك بلا افطار يحاول جهده ان يفهم ما حل به ويحاول جهده أن يجد من المستندات والوثائق التى لديه ما يثبت براءته ولكن بلا جدوى · وما لبث يوزف ك أن اكتشف أن الحارسين قد استوليا على طعامه وتركــاه جائعــا ، فعلم انهما لا اخلاق لهما ، وتأكد من ذلك عندما حاولا أن يأخذا منه ملابسه بحجة انه لن يحتاج اليها ، فما شأن المعتقل بالملابس ؟ وعندما أتى رئيس الحارسين اكتشف فيه يوزف ك العجرفة والانحراف ، وحاول أن يعلم منه السبب الذى اعتقل من أجله فلم يصل الى نتيجة ، فلم يكن من واجبه اعطاء تفسيرات أو اعــلان المعتقلين بسبب اعتقالهم · وبمرور الوقت اتضح ليوزف ك أن اعتقاله من نوع آخر ، فهو لن يؤخذ الى معتقل أو سجن ، بل سيترك كما هو يذهب الى عمله كالمعتاد ، ويعود من عمله الى البيت ، ولكنه معتقل لأنه تلقى خبراً من الحراس بذلك ، وعلم ان المحكمة ستتصل به لتحدد له مواعيد الجلسات · وبالفعل تمكن يوزف ك من الذهاب الى البنك ، وفرح لأن أحداً لم يلحظ تأخره عن موعده · وبدأ وهو فى البنك يفكر فى الموضوع ، ويعتقد أن ما حدث له مفاجئة شلت

قدرته على التصرف لأنها حلت به فى البيت بينما كان فى السرير ، وظن ان لو حدثت له هذه الحادثة الغريبة وهو فى البنك ، لاستطاع أن يتصرف ويدافع عن نفسه ، ويثبت براءته وفى المساء يعود يوزف ك الى البيت ، الى البنسيون الذى يسكن فيه ، ويقرر أن يتحدث مع صاحبة البنسيون السيدة جروباخ ليفسر لها ما حدث ، ويقرر كذلك أن يتحدث مع آنسة تسكن فى الحجرة المجاورة هى الآنسة بورستنر ليعتذر لها عن دخول الحراس حجرتها فى غيابها بسببه ، ويعتذر عن الاضطراب الذى أحدثه الحراس فيها • أما السيدة جروباخ فلم تكن تنتظر منه تفسيراً أو اعتذاراً ، بل انها أوصته الا يسرف فى تصعيب الأمور السهلة ، وفى نهاية لقائهما حكت لهعن الآنسة بورستنر انها تصادق الشبان وتسير معهم فى أماكن تثير الشبهة فاغتاظ يوزف ك لذلك ونهرها • وأما الآنسة بورستنر فلم تأت الا متأخرة جداً ، وكانت متعبة أشد التعب ومن ذلك ذهب يوزف ك اليها ، ليعتذر لها ، وقبلت الآنسة ذلك على مضض ، وقالت انها تفكر فى الانتقال للعمل فى مكتب محام ، ففكر انها قد تساعده ، وحكى لها ما حدث واعتذر ولكنها لم تجد بالحجرة ما يوجب الاعتذار العاجل على هذا النحو ، وابلغها بأن السيدة جروباخ تتقول عليها ، ووعدها بمساعدتها ، ثم ان يوزف ك تورط مع الآنسة بورستنر وحاول معانقتها وتقبيلها فتمنعت ، وفى هذه الأثناء دق أحدهم على الباب واستنتجا انه لابد

الضابط لانتس قريب السيدة جروباخ • ثم عاد يوزف ك الى حجرته – وفى يوم من الأيام تلقى يوزف ك مكالمة تليفونية تفيد بأن الجلسة الأولى للتحقيق ستكون يوم الأحد التالى ، وعلم أن يوم الأحد قد اختير بالذات حتى لا يتعطل عن عمله • ونسى يوزف ك ان يستعلم عن امرين اساسيين أولهما مكان المحكمة بالضبط والثانى موعد بدء المحاكمة • ولكنه فكر أن الجلسة لا بد ستبدأ فى الساعة التاسعة شأن كل الجلسات ، فلما كان يوم الأحد ذهب الى الضاحية التي قيل له ، بدون تحديد ، ان المحكمة ستنعقد فيها ، فتبين أن البيوت هناك متشابهة ، ولكنه اختار بيتا منها كانت به مجموعة محلات لها لافتات عرف ك بعضها من عمله فى البنك ، ودخل البيت فوجد الأدوار تنقسم الى حجرات كثيرة متتالية ، وتحرج من السؤال فى كل حجرة هل المحكمة بها ، وفكر فى أن ينظر فى الحجرات الى تكون أبوابها مفتوحة ، وأن يقرع أبواب الحجرات الأخرى ويسأل عن أى شىء ، عن نجار اسمه لانتس ، وبهذا يتمكن من النظر الى داخل الحجرة • وبعد سعى طويل وصل الى حجرة كانت بها امرأة تغسل الملابس فسألها عن النجار لانتس فأدخلته فى حجرة مجاورة تبين أن المحكمة كانت منعقدة بها • لم تكن هذه المحكمة من نوع المحاكم المعروفة بل كانت محكمة غريبة ، لا يعرف الانسان فيها بالضبط أين من له ومن عليه ولا يستطيع الانسان أن يصل الى شىء • المهم ان يوزف ك تحدث ووجه

اللوم الى المحكمة لأنها تقوم على أساس غير صحيح وذكر على سبيل المثال حالة الحارسين اللذين أخذا منه طعامه وحاولا أن يجرداه من ثيابه ظلما وعدوانا • وترافع يوزف ك ما شاء ، دون أن يعرف ما هى القضية ، ودون أن يهتم بذلك اهتماما قليلا أو كثيراً • وأثناء مرافعته فتحت المرأة الغسالة التى أدخلته الى هذا المكان الباب وراحت تعانق شابا وتستبيح لنفسها معه ما أدهش يوزف ك أشد الدهشة • وترك يوزف ك المحكمة ثائرا حانقا •

وانتظر أن تأتيه مكالمة تليفونية أخرى بموعد الجلسة التالية فلم تأته • فظن أن الجلسة الثانية ستنعقد فى المكان نفسه فى الموعد نفسه ، فذهب الى هناك فى يوم الأحد التالى وقرع الباب ففتحت له المرأة الغسالة • ووجد القاعة خالية ، وراح يتحدث مع المرأة فتبين انها زوجة خادم المحكمة ، وأن القاعة تنعقد فيها المحكمة هى سكنها الخاص تخليه يوم تنعقد ثم تشغله بعد أن تنتهى المحكمة واكتشف أن أحوالهذه المحكمة غريبة جداً ، فالكتب التى على منصة القاضى ، ليست كتب قانون بل كتب فيها صور مخلة بالأداب ، وعلم من المرأة أن الشاب الذى صخبت معه يوم الجلسة الماضية طالب له صلة قوية بالقاضى ، وعلم كذلك أن المرأة عشيقة القاضى ، وأنها تود أن يغازلها هو أيضا • وفهم يوزف ك من المرأة الخليعة السافلة انها ذات نفوذ كبير فى المحكمة ، نظرا

لعلاقتها الشخصية بالقاضى وغيره ، وقالت له انها تود مساعدته ، وعرفته بأن نظام التقاضى أمام هذه المحكمة مختلف تماما عن نظام التقاضى أمام المحاكم المعروفة ، وان العلاقات الشخصية بالقاضى جديرة بالوصول بالقضية الى النجاح · وفجأة أتى الطالب برتولد وحملها وجرى بها ليقدمها الى القاضى وتسلق الطالب بها درجات صغيرا هناك · ووقف ك عند أول الدرج يفكر فى الصعود وبينما هو واقف أتى الخادم واقترح على ك أن يصعدا معا هذا الدرج فانه يوصل الى مكاتب ديوان المحكمة · ووجد ك الديوان عجيب الشكل ، فهو عبارة عن حجرات قذرة غير منظمة متخذة على سطح البيت ووجد أصحاب القضايا ينتظرون وهم فى حالة يرثى لها من الذلة والمهانة · ولم يحتمل البقاء فى الديوان فقد خارت قواه وأصيب بما يشبه الاغماء · ولم يكن لهذه الحالة من الاغماء من سبب الاهواء الديوان ، من اعتاد عليه تخور قواه اذا خرج الى الهواء العادى ، ومن لم يعتد الا على الهواء العادى فانه تخور قواه اذا تنسمه · وبالفعل لم يفق ك الا عندما خرج الى الهواء الخارجى · – وفى البنسيون يحاول ك أن يصلح أموره مع السيدة جروباخ والآنسة بورستنر ، ولا يوضح الفصل الرابع من الرواية الا أن الآنسة بورسنر كانت

ترفض مقابلة ك ، وانها ضمت اليها فى حجرتها ساكنة أخرى هى الآنسة مونتاج ، وأن هذه الآنسة تحدثت مع ك بتفويض من الآنسة بورستنر حديثا يفيد أن على ك أن يعتبر ما كان بينه وبين بورستنر ، ان صح أن شيئا كان بينهما ، منتهيا • — وفى البنك يستمر ك فى عمله لا يفكر فى القضية الالمام وفى أمسية من الأمسيات بينما كان يمر بباب حجرة مهجورة بالبنك سمع بداخلها أنات ، وفتح الباب ودخل فاذا بها منظر عجيب • رأى فيها الحارسين اللذين أتياه أمر الاعتقال وأكلا افطاره وحاولا سرقة ملابسه ، عاريين ورأى جلادا ينهال عليهما بالسوط • واكتشف أن هذا العقاب قد حل بهما نتيجة لشكواه منهما ، فالمحكمة لا ترضى بأن يرتكب حراسها مثل هذه الأعمال • كذلك اكتشف أن هذا العقاب من شأنه أن يحيل بين الحارسين وبين الترقى ، الترقى الى الدرجة الأعلى وهى درجة الجلاد ، وتأثر يوزف ك لما يحدث للرجلين وحاول جهده أن يمنع الجلاد عنهما ، وقدم له الرشوة ، ولكن الجلاد رفض • وخرج ك من الحجرة حائرا ، ولم يستطع أن يفعل شيئا أكثر من توجيه الرجاء الى خدم البنك أن ينظفوا تلك الحجرة المهجورة مما بها من مهملات •

وبينما كان يوزف ك في عصر يوم من الأيام في البنك مشغولا بالكثير من الأعمال دخل عليه

عمــه ، الذى قــدم من الريف خــاصة ليحــدثه فى موضوع القضية • وقد علم العم بالقضية من ابنته وهى خطيبة يوزف ك التى أهملها اهمالا • وبدأ العم يلوك ك لوما شديداً على ارتكابه ما استتبع هذه القضية ، ثم بين ليوزف ك أن هذه القضية تهم الأسرة كلها وأن هذا هو السبب الذى من أجله أتى اليه ، ولما كان ك يخشى أن يعلم أحد من البنك بالقضية فقد أخذ عمه وخرج به من البنــك مسرعا • وسارا يتحدثان فى الطريق • وفجــأة نادى العم سيارة أجرة ودفع ك الى داخلها وركب هو كذلــك واتجها الى المحامى الدكتور هولد • كان هذا المحامى من أصدقاء العم القدامى ، واعتقــد العم انه سيساعده فى هذه القضية العجيبة • وعندما يصل الاثنان الى حيث يقيم المحامى يقال لهما انه مريض ، ولكنهما يدخلان رغــم ذلك • ويقابلان بالباب ممرضة المحامى « لينى » فيستحسنها ك ، ويتشاجر معها العم • وفى حجرة المحامى يجد ك وعمه المحامى راقدا فى سريره ، متصنعــا المرض ، ويبدأ العم القصة فيظهر المحامى اهتماما بهــا ويذكــر للضيفين أن مدير ديوان المحكمة يزوره الآن ، وبالفعــل ينظــر الاثنان الى ركن الحجرة فيجدا مدير ديوان المحكمــة جالسا ، ويتقدم بكرسيه ويعرض ميله لمساعدة ك • ولكن ضجة تحدث ، فيقوم ك ويخرج من الحجرة ليرى مــا الخبر • فاذا لينى هى التى أحدثت الضوضاء لتخلــو

بيوزف ك ؟ · وتأخذ ليني ك الى حجرة مكتب المحامى وتلهو معه ، وتحكى له في الوقت نفسه تفصيلات أخرى عن المحكمة ، كلها تتجه الى أن هذه المحكمة غامضة كل الغموض وأن الانسان لا يمكن أن يصل فيها الى شيء الا بالصلات الشخصية ، وعرضت عليه أن تساعده بما لها من صلات شخصية · ويمضى الوقت ويكون على ك أن ينصرف · وحين يبلغ ك الشارع يجد عمه واقفا متحسرا على الفرصة التى ضيعها ك بحمقه ، فرصة استعداد مدير الديوان لمساعدته · ويذهب ك أكثر من مرة الى المحامى هولد ويتباحث معه فى القضية ، وفى كل مرة تزداد حيرته ، فالمحامى يريد أن يقدم مذكرة ، ولكنه يحجم عن تقديمها ، ويعلل ذلك بأن المحكمة لا تعترف رسميا بالمحامين ، وان كانت تسكت عليهم ، لأسباب كثيرة منها أنها تحتاج اليهم فى حل القضايا البسيطة والقضايا المعقدة لأن قضاة المحكمة لا يستطيعون تصريف هذين النوعين من القضايا ، لعدم احتكاكهم بالجمهور ·

ويفيض بيوزف ك الكيل ، وتضطرب أحواله فى البنك فلا يعود يستطيع تصريف ما كان يستطيع تصريفه من الأعمال ، وهنا يقرر ك أن يسحب قضيته من المحامى وأن يقوم هو بالدفاع عن نفسه وكتابة المذكرة التى تقدم للمحكمة بهذا القصد · وبينما هو يقلب فكره التقى فى

البنك برجل من رجال الصناعة قال انه يعرف أحد الفنانين يحترف التصوير ، وله علاقة كبيرة بالمحكمة وأن هـــذا المصور يود مساعدته • فذهب اليه يوزف ك ووجد انـــه يسكن فى حجرة عجيبة ببيت عجيب ، ووجد على السلم مجموعة من البنات الصغيرات المتبجحات ، علم مـــن المصور أنهن من المحكمة ، فكل شيء هو جزء من المحكمة • وجـــرى بين يوزف ك والمصـــور حـديث طويل عـــن المحكمة والعدالة ، ووجـد المصـــور قد صنع للمحكمـــة صورة تمثل العدالة ، ولكن ربة العدالة فيها لا تقف ساكنة معصوبة العينين حاملة ميزانا كما هـــو المعروف عنهـا لا انها فى الصورة المطلوبـــة من المصـــور عبارة عن خليط من ربة العدالة وربـــة الصيد وربـــة النصر وأراد يوزف ك أن يخرج ، ولكنه لم يكن يحب أن يخرج من الباب الذى تنتظر عنده البنات ، ولذلك أخرجه المصور من باب آخر ، اكتشف ك أنه يمر بديوان محكمـــة مثـل الديوان الذى عرفه من قبل ، وأفهمه المصور تيتوريللى أن المحكمة لها دواوين فوق أسطح البيوت كلها ، وسار ك فى ممر طويل بين مكاتب الديوان ، وقـد وضع على أنفه منديلا حتى لا يتنفس هواء الديوان اتقاء للاصابة بالاغماء • ولكن ك تبين أن جهده كان عبثا وأن البنات علمن بحيلته ولاحقنه من الناحية الأخرى • ــ وقرر ك أن يذهب الى المحامى هولد ويبلغه بأنه سحب منه توكيله عنه فى القضية

وعندما ذهب يورف ك الى سكن المحامى فتح له الباب عميل آخر من عملاء المحامى اكتشف ك أنه على علاقة بليني . كان هذا العميل هو التاجر بلوك ، الذى علم ك منه ان المحامي يتولى قضيته منذ أكثر من خمس سنوات ، وانه يكرس كل قوته للقضية ويخصص لها كل ماله ويكلف بالدفاع عنه الى جانب الدكتور هولد خمسة محامين غيره . لأنه لا يريد أن يضيع إمكانية لكسب القضية . كذلك علم ك من التاجر بلوك انه يذهب كل يوم الى ديوان المحكمة محاولا فعل شيء فى قضيته ، وعلم أن المحاكمة تتطلب من أصحاب القضايا أمورا لا قدرة لهم على فهمها، ولذلك ينصرفون عن العقل الى الخرافة . وتحدث التاجر عن خبرته بالمحامين فانتقد الدكتور هولد الذى يعتبر نفسه من كبار المحامين وهو من أصغارهم ، الذى يعتقد انه يكتب أفضل المذكرات ، وما مذكراته الا خليط من الغث والسمين . بينما يدخل ك على المحامى ويجلس عنده ليفهمه انه خلع عنه توكيله فى القضية يشاهد منظرا يدهشه وهو منظر شجار بين المحامى وبين عميله بلوك ، لأن المحامى هولد اكتشف أن عميله يوكل عددا آخر من المحامين فى القضية ، ويوشك هذا الشجار على أن ينتهى بكشف المحامى خبرا عرفه ، وهو أن قضية التاجر قد صدر فيها حكم على سبيل الخطأ كما يحدث أحيانا ، وان هذا الحكم فى الغالب فى غير صالحه . (هذا الفصل

لم يكتمل ولذلك لا نعلم ما حدث للتاجر بالضبط ولا نعلم قيمة ذلك وأثره على يوزف ك) .

وتستمر حياة يوزف ك فى البنـــك عـــلى النحـــو المضطرب الحائر الذى انتهت اليه ، الى أن يتلقى من البنك تكليفـــا بمرافقة عميل ايطـــالى مهم فى جـــولة يطلعه فيها على معالم المدينة ، وعلى كنيسة خاصة واستعــــــد يوزف ك لتلك المهمة ما استطاع ، ولما أوشـــك موعـــد الخروج اتصلت لينى بيوزف ك تليفونيا لتسأله عن حاله ، ولما علمت انه ذاهب الى الكنيسة قالت له عبارة غير محددة هى : « انهم يستفزونك » وأسرع الى الكنيسة وحده فقد كان المقرر أن يتقابل مع الضيف هناك . ولكنه لم يجـد الضيف الايطالى فانتظر جالسا تارة ، وقام يتطلع على ما بالكنيسة تارة أخرى ، وكانت الكنيسة شبه خالية من الناس واهتم ك خاصة بصورة تمثل دفن المســـيح ، ثم بالتطلع الى منصات ظن أنه لم يرها من قبل ، ورأى ك بالكنيسة رجلا من رجال الدين ، فرسم الصليب واعتقد ان رجل الدين سيلقى عظة ، ولكن الكنيسة كانت خـــالية من الناس . وأخيراً ناداه رجـل الدين باسمه ، وقال له انه يبحث عنه وانه يعلم أنه متهم وسأله رجل الدين هل يعلم أن قضيته بلغت مرحلة سيئة وهل يعلم النهاية . وتحدث ك عن محاولاته وقال انه يبحث عن مساعدة ، وانه يعول على مساعدة النساء لأن النساء لهن سلطة كبيرة ، خاصة

وان المحكمة تتكون من الفجرة أزيار النساء وما لبث ك أن علم أن رجل الدين هو أيضا من المحكمة ، وان ظن أنه حالة استثنائية • وتبين رجل الدين أن يوزف ك مخدوع فأوضح له أن موضوع الخداع والانخداع هو أول موضوع يتعرض له القانون وانه يتعرض له فى صورة حكساية تقول ، هناك على باب القانون حسارس أتى اليه ذات يوم رجـــل من الريف ورجـــاه أن يدعه يدخـــل الى القانون • ولكن الحارس قال له انه لا يستطيع أن يسمح له بذلك الآن • وسأل الرجل هـــل يمكن ذلك فيما بعد ، فقال الحـــارس ربما ، ولـكن ليس الآن • ولما كان باب القانون مفتوحا دائما فقد انحنى الرجل لينظر من خلاله الى الداخل • ولما رأى الحارس فعلة الرجل قال له ، انه مادام يهتم برؤية القانون ، فعليه أن يجرب الدخـول برغم الحظر ، وأفهمه انه لا بد أن يعى مع ذلك انه أى الحارس شديد القوة وانه أصغر الحراس ، وأن قاعات القانـون عليها حراس بعضهم أشد من بعض ، حتى ان منظر ثالثهم مثلا لا يمكن احتماله ، فلما رأى الريفى ذلك ، قرر أن الخير فى الانتظار • وانتظر الريفى الأيام والأعوام ، وهو لا يرى الا الحارس الأصغر • والحارس الأصغر يستجوبه من حين لآخر ، ولكنه لا يدعه يدخل • حتى ضعف بصره ولم يعد يفرق بين الظلام والنور ، ولكنه كان يرى بريقـا يأتيه الآن ثابتا من باب القانون • ولما أوشك الرجل على

الموت نادى الحارس ليسأله سؤالا أخيرا • وكان هـــذا السؤال هو لماذا لم يأت طوال السنين الماضية أحد يريد الدخول سواى ؟ وأجابه الحارس غاضبا بأن هذا الباب المفتوح هو باب له هو وحده ، وأنه سيقفله الآن ــ هذه هى القصة التى حكاها رجل الدين ليوزف ك •

واسرع ك يقول بأن الخداع هنــا هــو خـــداع الحارس للرجل الريفى ، فقد كان يعلم أن الدخـــول الى القانون محظور على الناس ، الا عـــلى هـذا الرجل ، ومع ذلك منعه •• ويدخل ك مــع رجـــل الدين فى حديث عن العلاقة بين التزام العدالة وبين تأدية الواجب ، بين الفهم الصحيح والفهم الخـــاطىء ، بين الخـــوف والتخويف ، وهو حديث ملىء بالمتناقضات الشديدة • ويلخص الكاهن رأيه فى : « ما ينبغى أن يعتبر الانسان كل شىء حقا بل ينبغى أن يعتبره ضروريا » ويتلخص رد ك فى عبارة كأنها الحكمة : « ان الكذب ليتحـــول الى نظام للعالم » • وعلم ك وهو يوشك أن يخرج من الكنيسة أن الكاهن هـــو كـــاهن المحكمة وأن المحكمـــة تستقبله دائما عندما يأتى وتبعده عندما ينصرف ، وأنها فى الحقيقة لا تريد منه شيئا •

وفى ليلة عيد ميلاد يوزف ك الواحـــد والثلاثين أى بعد مرور عام بالضبط ، كان ك فى حجـــرته فقدم

اليه رجلان وقالا له انهما يريدانه أن يأتى معهما وفكر ك فى قرب النهاية • ودهش لأن منظر الرجلين كان منظر الممثلين أو المغنين ، وسار معهما فى الطريق وقد تأبطاه ، هذا عن يمين وذاك عن شمال ولم يفكر فى المقاومة ، بل تبع فى سكون ، وفرح الرجلان بهذا وتركاه يحدد الطريق هو ذاته • ورأى ك ، أو اعتقد أنه رأى الآنسة بورستنر تخرج من حارة وتتجه الى الميدان ، فقرر أن يكون طريقه خلفها ، ولكن الآنسة انحرفت الى حارة جانبية ، فترك مسارها ، واتبع الرجلين • فأخذاه عبر كوبرى وسارا به خلال حارات وحارات • وفى الطريق قابلهم رجال من رجال الشرطة ، ولكن ك كان يدفع مرافقيه الى الأمام • لقد قرر أن تكون نهايته هادئة والا يقول عليه أحد انه يريد أن يبدأ قضيته وهى فى نهايتها • وخرجوا من المدينة الى الحقول حتى وصلوا الى محجر صغير قاحل مهجور وبجانبه بيت شكله شكل بيوت المدينة• فوقفوا ، وكان المكان يخيم عليه ضوء القمر والسكون والفطرة • وذهب أحد الرجلين الى ك وجرده من ملابسه ، بينما راح الآخر يبحث فى المحجر عن مكان مناسب وأجلس الرجلان ك على الأرض ، وك منصاع لهما تماما • وأخيرا أخرج أحدهما سكينا طويلة رقيقة مسنونة الحدين ، وقبع الآخر على رقبة ك ، بينما دس صاحب السكين السكين فى قلبه • وكان آخر ما قاله يوزف ك عن

نفسه : « مثل الكلب » قالها وكأنه يريد أن يبقى خجله بعد مماته ٠

سادسا : حول رواية القضية :

بدأ فرانتس كافكا يكتب هذه القصة فى عام ١٩١٤ فى أواخر شهر سبتمبر وفرغ مما أنجزه منها على وجه السرعة ، ولكنه لم يتمها قط ، وليس بين أيدينا ما يفيد انه كان يريد اتمامها ٠ وواضح من العرض الذى قدمناه أن هناك موضوعات لم تكتمل ، منها مثلا دور الآنسة بورستنر ٠ فقد تحدث كافكا فى فصل كامل عنها ، ثم استطرد فى فصل تال الى حديث عن صديقتها ، والى ما يوحى بأن ك كان قد تعلق بالآنسة بورستنر واعتقد انها بالنسبة لحياته تمثل طريق الخلاص ٠ ويؤكد ذلك ما ورد فى الفصل الأخير عندما رآها أو ظن أنه رآها فأراد أن يتبعها ٠ كذلك الفصل الذى تحدث فيه عن المحامى والفصل الخاص بالتاجر ، كلها فصول غير مكتملة ٠ ولكن الموجود بين أيدينا فى هذا العمل العظيم يكفى لتصور ما قصد اليه كافكا ، ويكفى كما هو ليكون مثلا على الفن الذى ابتدعه كافكا وبلغ فيه قمة لا يباريه فى بلوغها منافس ٠

الخط العام فى هذه الرواية هو محنة الانسان وحيرته أمام العدالة ، ان العدالة موجودة والجميع

يتكلمون عنها ، ولكن الوصول اليهـــا غيـر ممـــكن ، والعدالة عنصر لا محيص عنه فى حياة الانسان حيـــاة سوية ، لأن الحياة النفسية للانسان تعتمد على أحكـام الآخرين عليه وعلى أحكامه على نفسه ، فان اختلت هذه الأحكـام وأصابها الكـــذب أو اعتراهـــا الخــــداع أو تجردت من المنطق ، اختلت حياة الانسان النفسيــــة تماما ، فأصبح لا يتكامل مع نفسه ولا يتكامــــل مـــع مجتمعه أو مجتمعاته ، وتكـــون نهـــايته مؤكـــدة • هذا الخط العام هو بمثابة الهيكل العظمى للرواية أما بقيــــة الكائن الحى ، أما اللحم والشحم والأعضاء والأطراف فهى مجموعة هائلة من الصور التى برع فرانتس كافكا فى تصويرها • وهذه الصورة خليط من الهزل والجد ، أو هى صور من الجد خلخـــل مصورهــــا عنصراً من عناصرها ، فاكتسبت سمة الهزل ، وهذا التكتيك الجـــاد الهازل يطابق أفكار فرانتس كافكا عن الدنيا والنــــاس والوجود •

والحقيقة ان المزج بين الضـــدين أمـــره عجيب • انك تجد فى أعمال كافكا الهـــدوء الذى يدفع بالقارىء الى الثورة ، وانك تجـــد فى أعمال كافكا التشاؤم الذى يحث القارىء على التماس سبيل التفاؤل وانك تجـــد فى أعمال كافكا تصويراً دائما للظلم والباطل يدفع بالقارىء الى الايمان بالعدل والحق وانك تجد فى أعمال كافكـــا

سلبية تدفع بالقارىء الى الايجابية · لقد خط فرانتس كافكا لنفسه فى الفن خطة تقوم على الايقاظ وتوســـل الى ذلك بصور تكلف فيها مبالغة فى أمـــور لا تأتى فى الواقع بصور تكلف فيها مبالغة فى امور لا تأتى فى الواقع على نحو مبالغ فيه ــ منها المصادفة ــ ومنها التورط ــ ومنها الحالات المرضية (فكل شخصيات كافكا تقريبـــا شخصيات مريضة) ــ ومنها الظروف المناخية او الصحية أو الضوئية أو الصوتية أو البصرية غير الملائمة ·

وايمان كافكا بالاصلاح ايمان لا شك فيه وحـديث الاصلاح حديث يتكرر فى اعماله الفنية وفى رسائلـــه ويومياته ، وسبيله سبيل الاشتراكية وروايـة « القضية » تختص بالدعامة الأولى : العدالة يوزف له يقوم بمحاولات كثيرة لاصلاح نظام المحكمة التى وقع فى براثنها ويلقى اثناء محاكمته أمام قاضى التحقيق مرافعة هامة يدين فيها الفساد ، وان يوزف ك ليصمد أمام الصعوبات القظيعة التى تعترض سبيله حتى ينهار فلا يستطيع الصـــمود ، وكيف له أن يصمد أمام صعوبات اجتماعية وهــو فـــرد تصوره الرواية « كالمقطوع من شجرة » ، لا نعرف لـــه اصدقاء يندمج فيهم ، ولا نعرف له زوجة ولا خطيبة ، ولا نعرف له اقارب يختلط بهم ويختلطون به ، وهـــو بالاضافة الى ذلك دائم الريبة يعتقد أن الناس يتجسسون عليه ويتركون أعمالهم لملاحقته بابصارهم ، ولاكتشـــاف

أسراره ، ثم هو عظيم الحيرة يقع فى الفخ ولا يتملص الا ليزداد تورطا فيه ، وأبرزما يميزه هو أنه يتعجل ، وانما يتعجل لأنه ينخدع • ليست رواية « القضية » اذن قصة اصلاح العدالة ، ولكنها قصة محاولة لفهم العدالة ولاصلاح ما فسد منها ، وهى لهذا قصة غير مكتملة ، ولايمكن أن تكتمل ، وآخر كلمة ينطق بها بطلها ، تحفز الى بداية محاولة جديدة •

والرواية ذات شهرة عالمية ضخمة ، وقد ترجمت الى عدد كبير من اللغات ، الى كل اللغات الحية الشهيرة تقريبا ، وأكثر من اهتم بكافكا وبأعماله الفرنسيون وعلى رأسهم أصحاب التعبيرية والتأثيرية والسريالية والوجودية • وزاد الاهتمام بكافكا بعد الحرب العالمية الثانية وبعد أن تحولت حياة الناس فى أوروبا وأمريكا خاصة الى حياة يسودها الخوف ، وبعد أن تركز اهتمام الناس على تحديد مكان الانسان فى الكون • وقد حول أندريه جيد أديب فرنسا الكبير بالاشتراك مع المخرج والممثل المسرحى الفرنسى الشهير جان لوى بارو الى مسرحية مثلت فى باريس بنجاح كبير عام ١٩٥٠ • كذلك أنشأ بوريس بلاخروهاينتس فون كرامر صيغة أخرى غنائية صاغها موسيقيا الموسيقى النمساوى جوتفريد فون أينم ومثلت فى زالتسبورج عام ١٩٥٣ •

سابعا : نماذج من رواية « القضية » :

تبدأ الرواية هكذا : « لا بد أن أحداً كادليوزف ك لأنه اعتقل ذات صباح دون أن يكون قد اقترف ذنبا · لم تأت طباخة السيدة جروباخ التي يستأجر حجرة لديها هذه المرة ، وكانت تأتيه كل يوم في نحو الثامنة بطعـــام الافطار · ذلك شيء لم يحدث من قبل قط · وانتظر ك هنيهة وتطلع ورأسه ما تزال على المخدة الى المرأة العجوز التي تسكن قباله والتي راحت ترقبه بفضول لم يعهده فيها من قبل ثم دق الجرس وهو مندهش جائع في وقت واحد · وسرعان ما دق أحدهم الباب ، ودخل عليه رجـــل لم يكن قد رآه في المسكن قط من قبل كـــان هذا الرجل أهيف القامة ، ولكنه كان مع ذلك قوى البنيان ، وكان يلبس ثوبا أسود اللون به ثنيات مختلفة وجيوب واربطة وازرار وحزام وكأنه حلة من حلل السفر ، وكان الثوب يبـــدو نتيجة لهذه الأشياء التي زود بها ثوبا عمليا جدا ، دون أن يتضح للمرء تماما فيم يستخدم · وسأله ك وقـــد اعتدل في فراشه قليلا من فوره : « من أنت ؟ » ولكن الرجل تجاهل السؤال ، وكأنما كان ينبغي على الناس أن يقبلوا ظهوره هكذا ، واكتفى بقوله : « لقـــد دققت الجرس » وقال ك : « نعم ، لتأتي الى الطاهية » انه « بطعام الافطار » ، وحاول في أول الأمر أن يتبين من يكون هذا الرجل ، وهو صامت يستعين بالانتباه والتفكير · ولكـــن

هذا الرجل لم يستسلم مدة طويلة لنظراته ، بل اتجه الى الباب وفتحه قليلا ليقول لشخص كان عـلى ما يبـــدو يقف بجواره : « انه يريد أن تأتيه » أنه « بالاقطار » وتبع هذا ضحك قليل فى الحجرة المجـــاورة ، لم يتأكد من نبرته هل صدر واحد أو اشتــرك فيه كثيرون ٠ وعلى الرغم من أن الرجل الغريب لا يمكن أن يكون قد عرف على هذا النحو شيئا لم يكن يعرفه من قبل ، فقد قال لك فى صيغة البلاغ : « هذا محال » فقال ك : « هذا شيء جديد لم أعهده من قبل » ثم قفز من فراشه ولبس بنطلونه على عجل » ٠

وهذا جزء من مرافعة ك فى المحكمة أمام قـاضى التحقيق : « لست أريد أن ألقى نجاحا كالنجاح الـــذى يلقاه المفوهون من الخطباء ، ولعـــل مثل هـــذا النجاح شيء لا قدرة لى على بلوغه ٠ والظاهر أن السيد قاضى التحقيق يجيد الخطابة أكثر منى بكثير ، فاجادة الخطابة شيء من صميم مهنته ٠ وانما أريد أن أناقش مناقشـــة عامة فسادا عاما ٠ اسمعوا : لقد اعتقلت منذ عشرة أيام تقريبا ، وأنا أضحك من واقعة الاعتقال فى حد ذاتها ، ولكن هذا موضوع ليس هنا مكانه ٠ لقد فوجئت بهجوم يقع على وأنا فى الفراش ، فى وقت مبكر من الصباح ، وربما كان لدى من اعتقلونى أمر باعتقال مبيض حيطـان لعله برىء مثلى تماما ، فاختارونى أنا ، وأنا لا أستبعد

هذا بعد أن سمعت كلام السيد قاضى التحقيق • كانت
الحجرة المجاورة لحجرتى يشغلها اثنان من الحراس
الغلاظ الشداد ، لو كنت أنا من قطاع الطريق الخطرين ،
كان من الواجب عليهم معاملتى معاملة أفضل من تلك
التى عاملونى بها • لقد كان هذان الحارسان علاوة على
ذلك من الرعاع عديمى الأخلاق ، فملآ أذنى بالكلام الفارغ
وأرادا أن أقدم لهما رشوة ، وأرادا أن يأخذا منى
ملابسى بالحيلة بعد أن سردا لى من الادعاءات
ما سردا ، وأراد أن يحصلا منى على المال بحجة
احضار افطار لى بعد أن التهما طعام افطارى أنا بلا
حياء أمام عينى • ولم ينته الأمر عند هذا الحد •
فقد أخذت الى حجرة ثالثة لأمثل أمام المفتش • كانت
تلك الحجرة حجرة آنسة أقدرها جدا ، وكان على أن أرى
كيف دنست الحجرة بسببى ، بدون ذنب منى ، نتيجة
لوجودى ووجود الحارسين والمفتش • لم يكن من السهل
أن يبقى الانسان هادئا • ولكنى تمكنت من البقاء هادئا •
وسألت المفتش بمنتهى الهدوء — ولو كان المفتش حاضرا
الآن هنا لأكد كلامى — عن سبب اعتقالى • فبماذا أجاب
المفتش ، الذى أراه الآن فى مخيلتى وهو يجلس فى الكرسى
الوثير الذى يخص الآنسة المذكورة جلسة تمثل العجرفة
السخيفة ؟ سادتى انه لم يجب فى الحقيقة بشىء ، ربما
لأنه لم يكن فعلا يعلم شيئا عن سبب اعتقالى • لقد

اعتقلنى ورضى بهذا • بل انه فعل أكثر من هذا ، فقد ادخل فى حجرة الآنسة ثلاثة موظفين حقراء من البنك الذى أعمل به ، عمدوا الى مد ايديهم الى صور فوتوغرافية خاصة بالآنسة والى احداث الاضطراب فيها • كان احضار هؤلاء الموظفين يهدف الى هدف آخر بطبيعة الحال ، كان عليهم هم وصاحبة البنسيون وخادمتها أن يشيعوا خبر اعتقالى وأن يضروا بسمعتى بصفة عامة وأن يهزوا مركزى ومكانتى فى البنك بصفة خاصة • ولكنهم لم يوفقوا فى شىء من هذا أدنى توفيق ، حتى صاحبة البنسيون التى أسكن لديها ، وهى انسانة بسيطة جداً — وسأذكر اسمها هنا بالتشريف والتقدير السيدة جروباخ — حتى السيدة جروباخ كانت من النباهة بحيث فهمت أن هذا الاعتقال لا يزيد عن أن يكون تهجما يقوم به جماعة من قبيل صبية الحارة الذين لا يجدون من يرعاهم • وأنا أكرر أن ما حدث لى من جراء الموضوع كله لا يعدو شيئا من الحرج والغضب العابر ، وأتساءل هل كان من الممكن أن يؤدى الى نتائج أنكى بكثير ؟ » •

رقم الايداع بدار الكتب ٤٨٩٤/١٩٩٥

ISBN — 977 — 01 — 4401 — 0

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى
خمسة وعشرون قرشا
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥

